

عشقٌ مخلفٌ جدًّا

مواقفٌ حياتيةٌ عاشتها الكاتبة

بقلم

مريم توفيق



مكتبةُ حُريرةِ الورد

الإهداء

إلى

القلوب العطشى للضحك والفرح
العيون التي ترقص طرباً وتهفو للقبْل
الزمان الذي يحتفظ بالقمر بدرًا
المكان الذي كان ولا يزال حياً منذ
ألف وأربعمائة عام

مريــم

obeikan.com

هذا الكتاب

شاعر وانثاء

مدرسة عربية عربية طلبة ناثود

بسم الله

استفاد طوان

والعامة

٢٠١٦/٦/١٢

obeikan.com

مقدمة

بقلع الأسناذ الدكنور

منصور مندور

الحمد لله وكفى وسلام على أنبيائه الذين اصطفى ...
وبعد ...

عندما تخرجُ الكلماتُ من القلبِ فإنَّها تدخلُ القلبَ،
وكلمات شاعرتنا (مريم توفيق) نابعةٌ من قلب صافيٍ
مفعم بالحبِّ لوطنها وأبناء وطنها ودينها ، وآل بيت رسول
الله عليه الصلاة والسلام.

إن القارئ ليحسَّ لمساتِ الرحمةِ وديبها اللطيف في
الكلمات والعبارات والإشارات من خلال الإيقاع
الموسيقى المعروف عن الأسلوب الأدبي للشاعرة (مريم
توفيق) التي دائماً ماتتحنفنا بهمسات الحبِّ والمودة التي
عرفناها في إخواننا أقباط مصر.

وهى بذلك تقدم نموذجاً للرقى والأدب فى الحوار والتعبير عن المشاعر الدالة على صفاء القلوب ، ونقاء النفوس لكل من حولها ..

إنك - عزيزى القارئ - لتأمل كم الحب المتدفق للسيدة مريم العذراء البتول (عليها السلام) والسيدة زينب سليمة بنى هاشم (رضى الله تبارك وتعالى عنها).

إنك لتأمل كم الحب المتدفق لرسول الإنسانية ، وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

إنك لتأمل كم الحب المتدفق للأزهر الشريف وشيوخه وعلمائه.

إنك لتأمل ذكرياتها وهى تحكى عن أيام طفولتها وقبل دخولها المدرسة ، وقد بقيت هذه الذكريات محفورة فى خاطرها لم تفارقها حتى اليوم .

إنك لتأمل وهى تكتب عن أثر الكتب المقدسة فى حياتنا ، حيث نور السماء يذهب بظلام الأرض ، ويبدد الخوف فى قلوب المؤمنين.

إنك لتأمل وهى تكتب عن مصر الأم ، مصر الحب ، مصر العطاء ، مصر المأوى ، وهى تستحق منا أن نقاوم الأمواج والصخر .

إنك لتتأمل كم الذكريات الجميلة التي تملأ ذاكرتها حول نشأتها وعلاقتها بأهل المنصورة جميعا و(ميت غمر) خصوصا ، وما صاحب ذلك من مناسبات دينية واجتماعية تجلّت فيها عظمة الحبّ والعطاء ، وتحقق فيها مقصدُ من مقاصد الأديان السماوية جميعا، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات].

نعم إنه مزيجٌ من الحبّ والعطف والحنان بين أبناء الوطن الواحد ، يتجلّى في كتابات (مريم توفيق) الشاعرة والأديبة المبدعة بنت مصر .

دكتور

منصور مندور

كبير أئمة وزارة الأوقاف المصرية

obeikan.com

تأملات

ذُبت بحرف كبّلنى ، أوقدنى ، جلجل فى كفى ،
أهدانى وردا من شوك ، وجواد العتمة يخطو كنجم ،
يتخبّط أفلاكا ، وحروف الصبح كما النيران ، أتألق
فى حُزنى ، القلق فى عيني ، والقلب من الهدم يُعانى ،
وينادى : يا وطنى ياساكن كل الأحياء ، هاأنذا بين
جدارٍ وجدارٍ ، كحروفٍ جفّت ، تتساقط من حولي ،
أنزلق الآن غريبا نحو القيعان

يارفيق الدرب ... ألم تكن معى فى الميدان نرتل
ونكبّر ؟ فرسمتك على الورق بقلب من ذهب ، ثم
مات غُصن كان عطرا ، أشعلت عيني نيرانا ، ولم
تحاول اختراق صمتى وسكونى ، لم تحاول تضميد
جراحى وشجونى ، أصبحت الدّمع الذى يجرى



فوق مقلتي فيجذبه النزف ، أنت كالألم ، فكُم من المرات تسبّيت في ذلك الصدع ، تاهت أفراحي ، أبوابي مثقوبة ، دخان ، برق ورعد ، من أحرق كنائسي ؟

وهل كانت ستغضب كوكب الشرق لو أذيعتُ في أعياد الميلاد والقيامة (ياليلة العيد أنستينا) ؟ ألا يكفي الصلاة تحت الحراسة ؟ لماذا أُحرّم من صليب علّقه يد أمي وكان أول هدية بعد نجاحي في الشهادة الابتدائية ؟

لكنني مازلت أبتهج وألهو بالفانوس مع الحفيد ، يعرج بي نحو الماضي الأجل ، الطفولة بنقائنها لماذا تلاشت في الكبر ؟ لماذا استُبدلت بسنوات تمضي بين أتون التعب ؟ لكنني أحاول دائماً أن أستعيد اللحظات الروحية الصافية ، حين تدق الأجراس ، ويعلو الأذان ، فأهتز شوقاً يارمضان.

فإلى بائعي الكلام الذين يقايضون ثم يخسرون ، ولا يملّون معزوفة النشاز العقيمة تحريم الإحتفال بأعياد أقباط مصر ، تحريم الفرح وبدء صفحة جديدة من التسامح والمودة ، ملعونٌ من حمل الزهور ، اللحن الشجي والقصيدة .

إنها قوافل الجهل تُخرس الوداد ، تُوصد في القلوب كل باب يحلّم بنبت ربّاني تعلوه مشاعل نور وبهجة ، في ضباب الزيف

يتوارون ، لكنهم يدعوننا للتمدد في محراب الوحشة ، تلُفنا العزلة ،
تسحقنا الأشجان ، أسرابُ الجراد تسعى لشق السفينة ، أقلامهم
زورٌ وبُهتان ، باعوا حمام السلام ، أشباحٌ في الظلام تتخبط ، جحافلُ
الشر تدعونا للحزن ، لليأس ، للندم وجلد الذات ، للإحباط ، لبيع
الصديق بالبخس ، إنها دعوة للكرهية ، للأسود والرماديّ الكئيب ،
ثم أفتوا أن شجرة الميلاد بدعة ، إثمٌ لا يغتفر ، يكفرُ كل من يحتفل
برمز التّماء ، كل من يعانق الأغصان ليغفو على شذى الورد ، كل من
يتوق للربيع وأنغام الكمان ، فماذا عن السلاح التي يمزق الأبرياء ؟
يا عاشق الدماء ألا تستحي من الأفعى تشتيهما ؟ تجمع النار ثم
تُسرع الخطى نحو النوارس تُغلق عليها الدائرة ، تشرع سيفك وعلى
دفتر الموت تسجل اسمها ، عاشقا لفجيرة الطيور تودّع صغارها ،
لن تنال من مصرنا .

ستعود حتما للبحر أحلامه الغافية ، ستعود البلبلُ المسافرة
تسبح للنور .. للحبِ على أرض سيناء نام جناحٌ بدفء جناح ،
فالأفراح آتية ، لن يضيق المكان بالجالسين مع القديسين والملائكة .
فالمصري المحب للحياة ، الذي فُطر على الضحكة والنكتة
سوف يُهدي الورد والألوان المصري يعيش على حب الجار والأهل
والأصحاب .

في هذه المجموعة صفحةٌ جديدةٌ من عمر هذا الحب ، نجدد فيها عشق السوسنة لنيل الوفاء ، لكل الكون ، بالحب نحيا على أرض نمت على أرضها كل الديانات فهنا شمس وظلال ، لحن وجمال ، ونداءات طيور وحبور ودلال ، هنا نحيا بأعراس الربيع ، فخيوط النور تطفو فوق أحلام الصقيع ، وغروب الشمس يحكي مطلع الشمس البديع ، نحيا بين أسراب حمام لا يعرف الخداع ، هنا ابتسام ، حب ، وفاء وهنا روح السلام .

إلى أم النور

سيدتنا مريم العذراء (عليها السلام)

قرأتُ وجهك في رحيق الشمس بالحنان يُشرق،
حاورتُ عينيك فوجدتني أطفو على راحتيك سيلَ
عطرٍ يامرئُ ، بك تسمو الأحلام فأرتدى الأبيض ،
على الضفاف وبين النوارس أجلس ، فأخطُ بالدماء
أم النور « حبيبتى » أنت الظل ورطيب الغصن ، إسمُ
من حرير ، فخرٌ وطيب ، ماء سحاب ، في الفؤاد
تسكنين ، بين أهدابك حبات لؤلؤية ، حين تتهاذى
أناملك ، يضيئ كل الكون ، وتلك أنشودة ربيعية
لمن جُلّت عن الوصف ، وردةٌ أنت في مبسمك يتودد
الشوق ، جميلةٌ أنت ومن بقلبي تفرّدت ، وهبت
الحسن والطهر فابتهج الزرع والطير ، وبالروعة
الفجر الوليد مع ترانيم الحب ، فلنضحك للأمانى

ووجه القمر ، لباقات الزهر ونسمات السحر ، ياكتر السماء ، منك
 الفرح ، يابتول .. نُحبك بكل اللغات ، نزهو بقربك ونعلن إليك
 الولاء فأنت الرجاء فلنمرّر أناملنا على نقش اسمك لنتروى من شذى
 الحروف يابسمة الأزهار.. بك نطوى مواجعنا إن حاصرتنا
 الذكريات وعاندتنا الليالي ، إن عانقتنا الأحزان وارتدّ بين الضلوع
 النحيب ، إن جثمت على صدورنا الأشباح تستيح الورد والفلّ ، إن
 أخذتنا الدنيا بعيدا عن الله .. نذوبُ بين خريف وهجير، وعيون
 القرش تبحت عنّا وتموج ، فلا العصافير تطير ولا الفصول تعود ،
 كل شيء كألواح الجليد ، لا دفء ، لا نسمة صباح تُهدينا الغد يا
 مريم ، وبالعربة المكان المبهم وأنا في دارى بين الأهل والجيران
 كالعشب الظامى يحن الى قطرة من حب صاف ، البرد يلتهم ظلى ،
 وليلي قارس الأنواء ، غابت رثة الكروان فأصرخُ .. يانجمة الصبح
 .. كيف أوصل الدرب ؟ والله كم غصّ عنى الطرف ، فماذا فعلت
 يا أمى ؟ لاشئ .. لاشئ ، نأيت عن النور القدسى وهرعت للبعيد
 لا صلاة ولا صوم ، ولا تأمل فى يوم الحساب ، أوفى النذر فقط
 بالشمع ، فباتت لى الحياة منفى .. كهفٌ وبرقٌ وطيرٌ يئنّ ، ياسيدة
 الطهر .. فى صومك المقدس ... إليك أمد اليد ، فأنا أهيم بلا سنا
 من ضياء ؟ أبغى الاحتواء ، أعود اليك لأروى فى نواك العذاب ،
 وكيف لقيت منه ذنابا ، أجوبُ الكون خلف سراب يُساقينى الهوى

الكذاب ، ثم أحنّ إليك فأغزلُ من عقب الزهر حروفاً وطيوفاً ، وبين مدّ وجزر ، تشتعل بداخلي قناديل الشعر والنثر

فأقول : يابحرا من شعر صاف يتدفق عبر شراييني ، يُشرق كشموس في روحى ويد تمتد لتحميني ، ياصوتا يملأ أنحائي ، يملأ إحساسى ويقينى ، أجدد العهد ألا أغيب عن درب رب المجد سيده الطهر ... تحت ظلال وعودك جئت ، أنتظر الحلم الآتى أترجى الليل بأن يرحل ، أتسابق واللحظة كى أبدأ معك العمر القادم وأبدأ لن نفترق ، يأم الكل ... ليس لى أحد سواك يفتح لى القلب .. رجاء محبة .. فلتصلحي ما أفسده عدو الخير لتعود الروح إلى الجسد .. فيسامحنى الرب يا قديسة ... يانبغ إشراق ونور .. صلى من أجل مصر يارائعة الوصف ليحفظ الله شعب هذه الأرض يا بسمة الأزهار ... نحو أيقونة الطهر والجمال أرنو ، على الضفاف تهرع الطيور فى انتشاء ، أسراب الحمام تمتد فى سماء بلادى ، يامصر .. نقشنا اسمك قبسا من نور ، حين سارت على أرضك العذراء

إليك الورد يامريم .. إليك عذب النشيد ياكتر الحياة ، مباركة أنت فى النساء .

السيدة زينب (رضوان الله عليها)

وروحانيات متجددة ..

سننظل نحلمُ باخضرار المروج في معية ربيبةِ
الفضل ، مليكة الدنيا وسليلة الزهراء ، نغفو على
ذراعيها بشوق وهُيام وفرح ، سننظل نحلم بشموع
ونور يا غاية القلب ، هنا مقام الهاشمية «زينب بنت
عليّ» ، هنا يسرى الشذى في الفؤاد يحمينا من عصف
الزمان نركض نحوها إذا الشراع تمرّد ، إذا ارتدّت في
ظُلْمة الأقدار الصّرخات بلا صدى ، إذا أحاطنا
اليأس من هول الإعصار في عرض اليم ، وبات
الموج في كرّ وفرّ ، أو كبَلتْنا أقبية الثلج ، إذا بات
النجم مُسَهّداً ، نحلم بجنةٍ فيها النخيل والشجر
والماء سُلاّلات تنحدر ، بصحبتك يا زينب نتذوق
الشهد وعذب الكلم، حُلّو الرحيق يارفاقى مع شمس



الوجود وقُرة عين المرتضى ، فلتحتوينا يانجمة السماء ومحبوبة المصطفى ، سنظل نحلم بالجلوس إلى شقيقة الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة هي الحُسن والجمال هي الكريمة كجدها ﷺ.

نرنو اليك يأم العواجز بحب لاتطويه الحُجب ، معك يُشرق الحب فينا كلما وطأت أقدامنا دارك ، الممددُ منك ونفحة العطر ، منك النور وجميل الزهر ، أنت الظل والدفء في ليل الجذب ، فالخصب أنت ، وأنت الأمرة بالمعروف ، فما السر ؟ ذلك سر للإله بك يانهر الحياة ، يامن تنامين بالأحداق فموثلك بين العين والهدب ، تتجولين بالقلب ، إنى أراك والعذراء تشيّدان ممالكنا من النور والحب ، تررعان في ربيع أيامنا الورد ، ترددان أنشودة اللقاء ، بالإيمان .. بالسلام .. لن تضار أبدا «درة الشرق» .

فلنجدد العهد يامريم .. يازينب ، سوف نعيد مذاق الألوان ، وصورة لاحدود لها من الخيال ، هنا إنجيل هنا قرآن ، يبددان الخوف ، لحنا أنقى وأطهر ، منكما الشّيم والقيم والفخر ، قليل من الخبز يكفيننا ، قطرة من المطر تروينا ، يا الله .. فلتنبت لنا سنابل الرحمة ، بالحق نقتسمها ، بالحب نُطعم صغارنا ، في مواسم البهجة تعود الطيور لأعشاشها ، فتهرب عناكبُ الريبة ، تُسقط القلاع ، نداعبُ النور والفراشات ، نصلى صلاةً تهدم مدن الخرافة ، نمحو طُقوس العرّافة ، هي مصرنا يرفرف القلب بحبها ... فلنقاوم من أجلها الموج والصخر ، فالشمس لن تكفّ عن بناء النهار .

إلى العالم الجليل

صاحب المقام الرفيع.. إلى الطيب الإنسان ..

نسمه ربيع ، ماء سلسيل ، يتدفق بردا وسلاما ،
شجرة دفء ، رسول مودة ، رونق البهاء ، ترائيل ناى ،
ماء وليل ، وكون يغنى ، نجمة سحرية الأضواء ،
ينطق بالحق فى زمن مرّ ، نبغ من كفّ الرحمة الإلهية ،
محبه حقيقية لا يشوبها أى رياء ، وحين يجفّ نبع
الاحتواء وتنحرف السفينة عن المسار فتصيب
الشركاء نجده بالبصر والبصيرة يلطف الأجواء .

فيقول فضيلته (إن حكمة المولى عزّ وجلّ
اقتضت أن يُخلق الناس مختلفين فى الشكل ، فى
الدين ، فى اللغة ، للاختلاف رونق وجمال ، لامانع من
الحوار من أجل خير الإنسانية جمعاء) فهو منفتح
على العالم بما يتفق مع الروح العربية والإسلامية ،

وهى روح ترفض الجمود والانغلاق ، فاجتمعنا أقباطا ومسلمين على محبته ، يُبهج القلوب العطشى للفرح ، يخترق الحواجز ويغوص فى الأعماق مستندا الى قوة الروح ، والفطرة التى حبها الله لبعض الناس ، فهناك من يمتلكون العلم ، لكنهم لا يملكون تلك القوة الفطرية والروحية التى تجتذب العقول والأفئدة ، أدبه الجم وحصافته لهما مفعول السحر فى مد جسور الود ، ففضيلته رمز العطاء والوفاء ، ولا نستطيع أن نعدّد مآثره ، فبساطته التى تميزه إن دلّت على شىء فإنما تدل على نقاوة وطهارة هذا القلب، فهو منارة لكل من يعرفه ، يؤمن بضرورة نشر السلام والتعاون الحقيقى بين الأديان ، يؤكد أن مصر المذكورة فى القرآن والإنجيل محفوظة بإذن الله .

فيا ثمرة أينعت فى الكرمه عناقيد ، نضع اسمك عنوانا للعمر الجميل والليل والوطن ، فبأى الصفات نختر ؟ وأنت بدوائر الأحداق الجواهر والآلى ، الطيب الاستثنائى ، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور « أحمد الطيب » .

الحمصية وطعم الأيام اللذيذة

مازلت لا أعرف سر الفرحه التي تسرى بأوردتي كلما وقعت عيني على (عروسة المولد) بلونها الوردى ، وحلوى الحمصية والسسمية اللذيذة ، كنت أشعر بيده وقد امتدت بالغطاء الذى سقط بعضه عن جسدى النحيل ليعيده من جديد ، فالجو يزداد برودةً مع ساعات الصباح الأولى ، أما فى النهار وتحديدًا يوم الجمعة كنت أُصّر على النزول معه كى أتوقف عند عم «عطية» البقال لشراء التوفى واللبن والنعناع ، تعلّقت به ربما أكثر من أمى التى لم تكن تتقبّل منى أى خطأ ولو صغير ، تقوّمنى ليل نهار ، نصائح بعدد الساعات ، وياويلي إن خاصمتنى ، فقد وقعت فى بئر عميقة فقد أضطر لبذل جهد غير عادى



كى تصالحنى ، وسرعان ماتخاصمنى من جديد وكثيرا ماكنت أفشل فى معرفة سر الخصام ، حيث كنت لم ألتحق بالمدرسة بعد .

أما لعبتى المفضلة فكانت طفلا صغيرا يعمدُ والدى أن يكون مفاجأة ، حين يضعه إلى جوار سريري حتى إذا ما فتحت عيني فى الصباح أخبئه من إخوتى ، كانت فرحتى وضحكى وأنا أضمُّ لعبتى إلى صدرى وكان ذلك مما يسعد والدى كثيرا ، ولم أكن أفهم السر لماذا يأخذنى معه دون إخوتى وقد ارتدبت الفستان الجديد لنزور عمى « حسان » بمدينة ميت غمر ؟ والذى ما إن يرانى حتى يدسّ قرشا بيدي ثم يميل هامسا : (روحى اشترى حمصية من عند عمك عبد العظيم) وأيام أخرى كان يضع بضعة قروش بكيس النقود ، ليهمس مُجددا (هذا مضيوحك) كم كانت السعادة تغمرنى كلما تشابكت أصابعى بأصابع أبى التى لا زال ملمسها يعانقُ قلبى ، كنا نقضى اليوم فى بيت عمى وعند الغروب أعود محملة بالفطير الساخن الذى نلتف حوله بصحنىّ عسل أسود وجبن قديم أما أجهل الأيام فكانت فرحتها حين تقع عيني فى الصباح الباكر على (القفّة) الملونة والمصنوعة من خوص النخيل ، أفتحها فيتدفّق الحمّص على طاولة الطعام ، بينما قطع الحلاوة بلونها العاجى ترقد على سطحها ، كنا نتعجّل أُمى لتكسّر بعضها ، فيسهل علينا أكلها ، أما السلات الصغيرة جدا فكانت سببا لمعرفة (حبّ العزيز) الذى

أحبيناه بشدة فنعبُّ منه ونضعه في جيوبنا ، أما (الدُّوم) فقد أعاد إلى ذهني (الدُّوم) الذي كنا نتسابق على شرائه مع أصابع العسلية من (أم عبده) أثناء الفسحة بمدرسة الرشاد الابتدائية نظير خمسة مليمات أو عشرة على الأكثر ، ولا أنسى الحلاوة الشعر التي تذوب بمجرد أن تلامس شفاهنا وكان لها نصيبٌ أيضاً على سفرتنا ، والتي لم تخل يوماً من أكياس الفول السوداني الذي يتم تحميصه في فرن البيت ، وكم ترددت على مسامعي كلمة المولد وحلاوة المولد .

أعشق عروسة المولد .. والتي كنت أبكي إذا سقطت منى دون قصد فتناثرت قطعاً صغيرة على الأرض ، فكان حُزن أبي يهدئ من روعي حين يقول : لا عليك يا حبيبتى فلتأكلوها كلها ، إنها سكر ، ولا يمرّ المساء دون أن يتتاعلى والدى الحبيب عروسة جديدة ، أما أجزاء العروسة فمصيرها مهلبية حمراء وقد وضعت بصحون صغيرة يزينها جوز الهند المبشور ، كبرتُ قليلاً وفهمت أن عروسة المولد لا توجد إلا في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وصارت ترتدى فساتين من ورق الكوريشة بألوانه الجذابة التي تخطف قلوب من هنّ في مثل سنّى ، أما سلات الحمص فكانت لا تنقطع على مدار العام ومنها على سبيل المثال :

(مولد «السيد البدوي» بطنطا ، مولد القديس الشهيد «مار جرجس الرومانى» بميت دميس ، والشهيدة القديسة

«الست جمانة» بمدينة بلقاس دقهلية ، والقديس «أبانوب» بنبروه .
أما الحلوة الشعر فكانت من مولد سيدى «إبراهيم الدسوقي»
بمدينة دسوق بكفر الشيخ ، لم أسأل يوما عن الموالد لمن وأين ومتى
ولماذا وكيف ؟

جلّ ما يهمنى أن تظل طاولة طعامنا عامرة بكل شئٍ مُحبَّب إلى
نفسى ، وأن يمد الله فى عمر عمى «حسان» الذى لم يقطع عاداته حتى
زمن كتابة هذه السطور ، مازلت أسمع صوته الواهن حين يقول
(الموسم جاهز) أرسله غدا يابنتى ، وأظل بانتظار الموسم وقد
إمتلأت العُلب عن آخرها بكل ماهو جديد فىلى جوار الحمصية
والسمسمية هناك الفولية والجوزية والملبن المحشو بكل أنواع
المكسرات ، مع لّقات الفطير المشلتت ، ولا أستطيع أن أصف
السعادة التى تغمرنى عندما أقوم بتقسيم الموسم إلى ثلاثة أقسام .

وهاهى «مريم» حفيدتى تضع كفها الصغير بين يديّ ، وقد
ورثت عنى عشق الحمصية والسمسمية وكلما هاتفتها يأتينى صوتها
.. (ياتيته عايزه عروسة بمبى) .

دعوة للحب والإيمان فى حلوان ..

كالنهر يسقى الحنايا عطفاً ومودة ، وجه ملائكة
يفرد جناحيه على شعب «حلوان» دون تفريق ،
كأنسام الصبح يجمع هديل الحروف عشقا للوطن ،
فإن غمر الأرض شقاء يخفف عن التعساء ، يرى
العطاء سر الحب ، وسر الحب من الإله ، إنه الحبر
الجليل الأنبا «بيسنتى» أسقف حلوان والمعصرة
الذى يترك بابه مشرعا للكل ، يمد جبال التواصل
لخدمة الجميع على السواء على مدار العام ، يؤمن أن
المحبة كالشجر الأصيل كلما ارتوت من النبع
العذب تطرح ثمارا شهية ، تورق الأغصان فنستظل
بها فى الهجير .



هذا التواصل لم يكن قاصرا على الأعياد من الطرفين ، بل يرى نيافته أن كل يوم يمر بسلام وأمان على البلاد هو أيضا عيد ، والأمـر سهل كما يقول السيد المسيح (له المجد) لتلاميذه : « أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم » ومع كل زيارة لدير القديس الأنبا (برسوم العريان) أطلع مكتب الأنبا بيستى عضو المجمع المقدس يعجّ عن آخره بالعشرات من إخوتنا المسلمين الذين يُقابِلون بترحاب ومودة شديدين ، يطلبون إما تدخّله الشخصى لحل بعض الأزمات لما يتمتع به من مكانة مقدّرة (فحكمة وبلاغته تُؤهله للتصدى لأعتى المشكلات) ، أو يوجهون له الدعوة للمشاركة فيما يعود بالخير على شعب حلوان ، أو لتجاذب أطراف الحوار فى أجواء يسودها الألفة والتراحم .

وتغمرنى الفرحة اليوم لأننى فى « الدير » العزيز على قلبى أرنو إليه كلما اشتقت أن أكون فى حضرة النور والحب والقديسين ، فىا أنبا بيستى .. يا من أيقظت فىنا الحنين لتراب هذه الأرض ، للنيل العظيم ، للنوارس ، حين تختال فوق صدر الماء حتى مطلع الشمس البديع ، نستعيد معك حلوى الذكريات كى ننفـض عن العيون غبار العتمة فيلتئم بك جرح السنين .

الحبر الجليل .. نراك فى وادى النخيل والفضاء الرحيب ، فى رقّة

السماء ، طلّة الشمس وسحر الغروب ، فى المروج الخضر نهل من
عذب كلمات من سكن الوجود من فم الذهب نستلهم الإبداع ،
نُعانق الألوان ، لنرسم للفراشات ظلًا فتبتهج عصافير الدروب بك
يعود للشجر الرّونق ، نُسقط الحصون إن جارت علينا الأفاعى ،
وكبّلتنا الوحوش ، تاجّ على الجبين ، بالقلب محفور، بحب نادر
الوجود نصدّ أعتى البراكين، فتصاب الحيتان بمسّ من الجنون ،
نناديك يا من تنام بالأحداق وتسرى بالعروق .. إليك قلادة الزهور
قصيدة ولهانة النشيد ، ستظل فينا الحب الأسطورى ، الإسم الجهير
للوطن الخالد ، ندعو الله أن تبقى بيننا الآف الأعوام وعشرات
القرون ، فبكلمة السر .. حبيب كل الجموع .

لقاء طيب جداً جداً

حين ضجّ التحريرُ بالشوار صارخين « ارحل »
كان الأقباط في أوائل الصفوف محطّمين خوف
السنين ، مطالبين بالحرية والعدل ينادون (كفانبا
حرمانا وإذلالا) ، لعقود طويلة كانت الشكوى من
القهر والاضطهاد ، لم يكن أمامهم إلا خياران لاثالث
لهما ، الاحتماء بأسوار الكاتدرائية رافعين اللافتات
متحدثين أمام القنوات الفضائية المسيحية رافعين
المظالم لقداسة البابا شنودة ، أو البكاء المرّ أمام
أيقونات السيد المسيح والعذراء .

ثمانية عشر يوماً قطعت فيها الاتصالات ، وأنا
وحدى أتابع من شرفتي تدفق كل الجموع ، لا أنكر
أن الخوف كان رفيقاً الدائم ، فلم يعد هناك شرطي

أحتمى به ، والحارس جمع أسرته وترك العقار، الجيران منعزلين ، عكس جيرانى فى مسقط رأسى « المنصورة » فبيننا جميعا مودة واحتواء ، لكننى وجدت ضالتي فى (الثورة والزمن المسروق) خصوصا احتوت صرختى ، فأنا لا أدري ماتخبئه لنا الأيام خاصة بعدما اشتعلت النيران فى جميع مقرات الحزب الوطنى فى آن واحد ، لكن يقينى أن المرفأ الآمن دائما هو الحكماء ، أفضى للكتاب بأحزاني على ما آلت إليه أحوال الشباب الذين باتوا طعاما للحيتان ، وآخرين يعيشون تحت رحمة الكفيل فى دول الخليج ، أين الضمير والضمير من الدين ؟

ليطل الأزهر بإمامه الأكبر الدكتور « الطيب » الذى جذبني بحوارات تليفزيونية تفيض بالحكمة والعلم الغزير ، أهديت فضيلته نسخة من الكتاب الجديد ، بين طياته أرفقت سطورا قلت فيها : (يا صاحب المقام الرفيع) أنت لا تعرفنى ، لكنى أراك رسول مودة ، تُبهج القلوب العطشى للفرح ، يامن تنطق بالحق فصرت واحة تزهو فيطيب لنا الرجاء ، وسطّرت الإهداء بصدق الكلمات . على الغلاف عنوانى .. شاعرة من مصر ، من بيت أحبّ كل الناس ، وكل عابر سبيل لم أسأله يوما بأى دين تدين إذا مدّ الكفّ بالسؤال ؟ كنت أعلم أن الكتاب مآله أى رفٍ فى الأرشيف ، والشيخ الجليل لن يعرف بأمر ما طرحت من أفكار ، ربما لضيق الوقت ، ربما هناك ما هو الأهم ،

لكننى لم أفقد الأمل أبداً في الجواب ، كنّا في شهر الصوم ولكلينا رمضان والعذراء .

ودق الجرس

هاتف أعاد للأُنجم الحبلى حُلُو الأمانى ، زرع الآفاق بالنغم ، واستجاب الله للدعاء .

- قال : أحْيِّك على الإبداع ، سيصلك الشكر على العنوان .

فبحت بما أكنّ له نيابة عن كلّ الجموع ، الحبّ والتقدير ، وأبدت خوفاً من دنيا بلا سياج ، فمن يدركنا قبل أن يهيض الجناح ؟

- قال : لاداعى للخوف ، مقدّساتكم نحميها ونحميكم ، لاتخافى من ألف تنين ، الله خير الحافظين

- قلت : الآن طاب الجرح واندمل ، أمنيةٌ عزّ مطلبها يامولانا ، أطمع في لقاء

- قال : أرحب

كنت أعلم أن الأحداث كلها ، سوف تمنعنى من صياغة بعض الأبيات عرفانا لهذا العالم الجليل لكن الكتاب المقدس يقول :
(كل ما يُعمل يُعمل للخير)

فسطرت :

تحية الحب والتقدير أكتبها من روضة الشعر أهديها إلى العلم
شيخنا الفدّ قد ضاء الزمان به أنار بالعلم آفاقا من الظلم
أنت الطيّب والتاريخ يعرفه وروعة الفكر فوق الشعر والكلم
تظل تعطى عطاء النهر في كرم حتى سموت سمو الطود في القمم
تحيا بجهدك أجيال تعلمها يبقى عطاؤك نور الناس والأمم
ألبيت تاريخنا حللا ملونة وروعة تنتشى من شيق النغم
إنى أتيتك بالأفكار أرسمها شعرا من القلب يعلى شامخ الهمم
أهديك ياسيدى من نبض وأنت بحر الوفا والحب والكرم

في الموعد المأمول أسرع الخُطى ، بعض الفرح تسأل الى
روحي ، يربت على كتفى يعزّيني عن أى وجع أو حزن مرّ على
خاطري من قبل ، طرقت الباب ، مددت الكفّ صافحته ، عملاق في
ربوة مقمرة ، فجر شاع في الأفق ، عذب أسر للقلب ، كلماته ميزان
شعريّ ، بحر لم يكتب على وزنه سوى التواضع باب لكل جمال ،
فيرتدّ على محيّا الهلال .

قرأ القصيدة بصوت عال ، شاركني الأوجاع فقد واكبت هذه
الأيام أربعين شهداء حادث كنيسة القديسين بالأسكندرية ، الذين

فُتلوا بحادث تفجير ليلة عيد الميلاد المجيد دون ذنب ، وتمنى فضيلته أن يعمّ الوئام والسلام كل ربوع مصر .

قال : لننس الدمع وأشواك الأذى ، هذه الأرض لن تفرّق بين الضّحايا ، محمد ومينا ، تلك سحابة كثيفة ، الأشباح ترتعّ في كل شبر ، لكن الصّبح آت بطوق نجاة ، عشنا على الحب ، أوصانا بكم خيرا الرسول الكريم ، وعيسى عليه السلام بالمحبة في الإنجيل .

قلت : بك تطمئن القلوب يا شيخنا الجليل ، الطيّب والأزهر أنت والمعتدلين .

أتأذن بصورة يامولانا ؟

ابتسم ملوّحا ببارقة المنى ، الى جواره ترتفع الهامة فتسرى الفرحة بالقلوب .

وظللت أترقب فرصة جديدة للقاء طيب ، ومع كل لقاء يكون العيد ، لتقع عيني على خبر نشر في إحدى الصحف القومية ، القلب الحنون يمر بوعكة صحية ويرقد بإحدى المستشفيات ، ودون تفكير هاتفت السكرتير وقلت : من فضلك زودنى بالضوء الأخضر ، فأهديه قلب مريم ، سلمت يا شيخنا الجليل يا قلب الذهب ، سلمت من كل شر .

وبعد عام ونصف العام عاودت المشيخة ، هذا المكان الذى بات
لى مصدر سعادة ، كل لحظة أقضيها بين الردهات الممتدة ، هى عمر
جديد ، هنا الحب دون رياء ، هنا تواضع الأنبياء ، أهديت فضيلة
الإمام الأكبر قصيدةً جديدةً عنوانها (سوسنة الوادى) وقصصتُ
عليه كيف دعيت للمشاركة فى أمسية شعرية فى حب سيد الأنام
(عليه الصلاة والسلام) دون أن يعلم القائمون عليها أننى من أقباط
مصر ، ليرد بابتسام :

كان يحبكم ﷺ وتزوج منكم « ماريا » التى أنجبت له إبراهيم .
قلت : أستاذن فضيلتك سوف أجمع كل القصص منذ الطفولة
حتى أترك لأحفادى إرثاً من الحب فيطمئنوا أن القادم كله خير ، وأن
الإنجيل والقرآن من عند الله ، مسلم مسيحي أبدا لن نفترق .
فقال فضيلة : فلتبدئى من الآن .

البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية وبطريقك الكرازة المرقسية

حين تخطُ يمينى الحرف ، يقفز الى الذهن البرُّ
والنُسك الجميل ، نتوق لحكمته تداوى فينا
الانكسار بعد الحريق ، بعد ثورة الثلاثين من يونيو
التى خرج فيها جُل الأقباط صارخين : (مصر
للجميع) ، و(مسلم مسيحي يد واحدة) ، تساءلنا
لماذا تبدلت القلوب بين عشية وضحاها ؟

سيدنا الحبيب .. نعانق فيك جمال السماء بحب
فاض عن حنايا الصدور ، ستظل فينا خلاصة جهدك
نتعلم منك كيف يكون العطاء ، لانسلك الرمال
فتنفرط حبات العقد ، فى الليالى المعتمة حتما سيضاء
النور ، فيطرح الشعاع حنانا قزحى القطرات كم
حميتنا من عصف الليالى حين اشتعلت النيران فى



الكنائس والأديرة الأثرية ، فصار الحب دخانا تذروه الريح في كل واد ، قلت ياسيدنا الحبيب أن :

(وطن بلا كنائس أفضل من كنائس بلا وطن) من أجل هذا ستظل فينا نبراسا يقينا الهجير ، لنبقى رسمك في الأحداق وفي القلوب ، على كل جدار هلال وصليب ، البابا تواضروس الثاني وضعت مصر فوق الجميع بالحكمة والرؤية الثاقبة وإليك القصيدة :

اختيار السماء

هذا اختيار باركته سماء	نور المسيح عليه والأضواء
يارأس ملتنا وراعى شعبنا	طوبى لشعب أنت فيه ضياء
قد بُورك الكرسي يوم جلوسكم	وتهللت لقدمك العذراء
يحنو عليك الرب من ملكوته	يرعى خطاك نعيمه المعطاء
وتحققت بك كل أمنية لنا	إذ بشرتنا بالمنى الأنباء
فلقد رأينا فيك من زمن مضى	كل التقى والحكمة الغراء
هذا التواضع من سمات الرسل	لا يدنوله ذل ولا إغضاء

تسرى محبة مصر فيك وشعبها
وتصون للقدس المبارك حقّه
بك أيّد الرب العروبة وانتشى
ياخير راع للكنيسة إننا
مصر التي عشت الحياة بظللها
فادفع بحكمتك العواصف والأذى
وارفع لواء توحد تزهوبه
أخلاقك السمحاء سيفٌ باترٌ
وعميق حبك للبلاد تبني لنا
فاغرس بأعماق القلوب تسامحا
ماكانت الأديانُ غير محبة
ولمصر في كل القلوب ولاء
في الأسر لاحق ولا إسراء
بحديثك الفضلاء والعلماء
شعب تمنّى واستجيب دعاء
وتعيش فيك تحوطها الأنواء
فيك الرجاء ومنك يشفى الداء
أرض الكنانة حين عزّ عطاء
تُمحي ببارق حدّه الظلماء
أملًا وإنّا للبلاد فداء
إن الحياة توحد وإخاء
فيها لكل العالمين شفاء

جلسة إنسانية جمعتنا في حب الرسول

وجلست بين الجموع التي كثيرا ما تنتقل بين
شاشات الفضائيات ، أعداد غفيرة من المصورين ،
والقنوات تتسابق لتجري الحوارات مع المسؤولين ،
أما سيل الدموع التي فشل أبناء الراحل الكبير في
أخفائها ، كانت أول مالفت إنتباهي في حفل التأبين
وهرعت إلى القصيدة التي سطرتها ، أعيد قراءتها قبل أن
ألقيها ، أسترجع لحظة فقدان والدي الحبيب حينما
كنت أعمل بإحدى دول الخليج ، وعندما اتخذت قرار
السفر على وجه السرعة لمرضه المفاجئ ، لم أتمكن من
توديعه بعدما استرد الله وديعته ، وأنا بالطائرة معلقة بين
السماء والأرض ، وظلت غصة بقلبي وجرحا غائرا
حتى الآن لم يندمل ، يتجدد كلما عشت اللحظات

الأليمة لآخرين فقدوا الأب والصديق خاصة من ترك لأبنائه إرثا من العلم ينتفعون به ، سيرة عطرة تمتد للأحفاد جيلا بعد جيل.

وبدأت المراسم بآيات من الذكر الحكيم ، ثم كلمات أصدقائه وتلاميذه يتلون فيها مآثر رئيس وزراء مصر السابق والذي اجتمعت على محبته كل القلوب ، « عبد العزيز حجازى » الاسم الجهير في عالم الاقتصاد الذى حذر من التزايد المستمر للعشوائيات وتغول المعاناة والفقر ، وطالب برسم السياسات لإيقاف الفساد واهدار المال العام ، كلمات مؤثرة من محبيه ، ثم أبنائه الذين استقوا من معينه كل شئ طيب ونبييل ، وألقيت قصيدتى فنالت استحسانا من الحضور وما إن عدت إلى طاولتى حتى فاجأنى أحد الحضور قائلا : (أستاذة مريم أعجبنى شعرك وأدعوك للمشاركة معنا بأسمية الغد وأنا من سيدير اللقاء) ووجدتنى أعلن موافقتى دون أن أعرف المكان والزمان ثم أردف : العنوان مكتبة الخليفة العامة بالمقطم ، وسكت عن أى حوار.

-لو تأذن يشرفنى أن أعرف موعد الأمسية.

-فى الواحدة ظهرا.

-مبكرا جدا أمسية فى الواحدة ؟

-يوم فى حب رسول الله.

-كيف أتواصل معك حضرتك ربما أتوه عن العنوان ؟

وعلى عجل امتدت يده ببطاقة تعريف بشخصه الكريم ، أزالته
حيرتى أمام كلماته المقتضبة ، وبت ليلتى أفكر ماذا عساي أن أقول ؟
كان فرحا مصحوبا بالخوف ، سطرت كثيرا مما يحمل فى طياته
وحدثنا الوطنية الراسخة عبر القرون ، أما أمسية الغد فهذا هو
الجديد والرائع أيضا ، ليتراءى لعينى شريط الطفولة الذى حُفر
بالأعماق حب المسلمين حبا ليس فيه زيف ، آيات بينات وصوت
أذان ، ونصوص نفهمها ونرددها ونستدعى مايقابلها فى الإنجيل .
وسطرت ماجادت به قريحتي ولم أكن أدري أننى فتحت مغاليق
من الدرر .

أحتضن الأمس والغد ، حب كل الكون .

عند الثانية عشرة ظهرا كانت خطاى تسابق الساعة ، عنفوان
المشاعر يهز فؤادى الذى اشتد خفقانه ، مازال الوقت مبكرا
وتوقفت أمام مسجد السيدة زينب (رضوان الله عليها) وللمرة
الأولى قررت أن يكون اليوم من أوله فى رحاب أولياء الله الصالحين ،
قطعت الطريق لأبتاع غطاء رأس جديد ، واخترت مايناسب بدلتى

وكانت بلون السماء وترجّلت نحو الباب والقلب تتسارع دقاته
ورعشة بأطرافى الباردة ، أما الجالس أمام الباب فكان بسيطاً ودوداً
بشوشاً ، وبصوت خفيض دار حوارنا.

سألته أيمكننى الدخول ؟ بينما أنحنى لأنزع نعلى لتطل من مآقيه
حيرة عندما لم ينطق ببنت شفة .

قلت أنا من أقباط مصر .

وجاء رده .. نأتى بالغذاء ؟ حاجه ساقعة ؟ شاي ؟

وأمام كل هذا الحب تسمّرت قدماى ، وبخطوات بطيئة دلفت
إلى المسجد وجلست أرضاً وكأنى أرمى الأثقال عن كاهلى ، يا الله
وأنت موجود فى كل مكان أدعوك أن تخفف عنى ما أصاب قلبى من
فرح وترقب ، فالأصعب لم يأت بعد .

حينما ألقى على مسامع الحضور ما أتوا من أجله ، يا الله ماذا تخبئ
لى اليوم ؟ أعلم أنه الخير كل الخير

قرأت الفاتحة (يا أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأتى
ملكوتك لتكن مشيئتك ، كما فى السماء ، كذلك على الأرض ، أعطنا
خبزنا كفاف يومنا ، ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير .. آمين) .

وسرعان ما حكى حارس المسجد للمريدين الذين التفوا حولى

لالتقاط الصور التذكارية التي مازلت أطلعها كلما اشتاقت نفسى للحظة دافئة لم تكن بالحسبان ، الحب فيها كامن بدواخلنا لن نُفتته أى ربح .

فتحت هاتفى المغلق لأتواصل مع أستاذ الشريعة أوجهه بأننى على باب المسجد ، فقال : عشر دقائق فقط مرت كالثوانى بين الأحبة من المحجبات والمنقبات ، نضحك ونلتقط التذكار على أمل بلقاء جديد ، ولم يقطع الحوار بينى وبينهن والذي أزال الكثير من عبء اللحظة إلا اتصال الدكتور « أحمد عبد الرحمن » الذى ميّزت قدومه من بعيد لحيته البيضاء ، أما عيناه فلم أرها قط ، ألقى السلام وجلست بالمقعد الخلفى ، وصلنا مكتبة «ال خليفة العامة» حيث هذا اليوم العظيم ليصعد الدكتور «أحمد» الدرج ليكون من أوائل الحضور ، جمع غفير ، أمهات يحملن الرضع والصغار ، رجال دين ، منشدون ، شباب ينظم الحفل للحضور الكريم ، ومنصة زُينت بالورود ، الكل مبتهيج كليلة العيد .

إذن آن الأوان لأقول الخبر اليقين ، دُرت بعينى أبحث عمّن يدير اللقاء قليل الكلام الذى دعانى .. ياإلهى ماأسعدنى اليوم ، هذا هو بين الشباب يعطى تعليماته ، إذن اللحظة مناسبة ربما قدمنى ولايعرف منى غير إسمى ، والمريمتان واحد والتوفيق للجميع .

ناديت .. من فضلك كلمة واحدة قبل البدء ومازالت عيناه فى

الأفق البعيد .

قلت : أنا مصرية مسيحية ، لتعلو بسمه ملء الكون هذا الوجه الصبوح ، زادت من ثقتي بأن القادم كله أحلى ، وخير البدء كانت آيات من الذكر الحكيم ، أعقبها أروع تقديم لقامة سامقة ، كلماته كالدر النفيس تخللها تصفيق وهتاف (مسلم مسيحي يد واحدة) ، فطار قلبي مع الكروان يغرد للنسيم .

قلت : أحبت فيكم كل الجمال والبهاء ، عشقت فيكم الفرح العذب ، لحظة صدق أتت دون ترتيب ، أحبت فيكم ، فاتن وإبراهيم ، فارس وأميرة ، أحبت فيكم محمد وزينب ومؤمن والشيخ الطيب وإليك كلمتي ...
قالوا : عن سيد الخلق قولي الشعر .

قلت لهم : الرسول الكريم فوق بديع الشعر والكلم.

قالوا : فهلا قلت عن مكانته وكيف يسمو بالأرواح إلى القمم ؟

قلت : ذلك سر للإله به قد خصه الله بالسامي من القيم ، من بحبه ينجينا من الظلم ويغرس الحب فياضا ويزرع في قلوبنا النور والإيمان ، فيحميها من السقم ، لولاه ما اهتزت جوانحنا بنشوة العشق للأخلاق والشيم ، لولا رضا الإله لما جاد لنا بأحمد ، بالعطر

نفيض على كل الكون ، في انتظار لجنة الخلد والرضوان والنعم .

وحين يعلو الأنين من شر ومن صخب وأمام سيول الألم ،
نناديك فنذوب هيأما بقربك ، نشد الشعر ياطه فترتوى من ظمأ ،
دفع حديثك فرح ، زهر ندى وشمس تضيء الدرب ، تدعونا
للفجر العذب ، للحكمة حين تحارب عاطفة فيذوب نقش الحب .

يانبع عطاء وحنان يا شاهدا ورحيقا وضياء ، لك القنديل
والقربان ، التواشيح والتراتيل فيحيط بنا الزهو ، عشق المصطفى
لحن وشدو ليس فيه زيف ، حلم سرى في الحنايا وطهر وبدر ،
فلا حاجة لسهم وجرح نهيم بمحمود فلا نبالي بالألم ، وما أجمل
ما يأتى به القدر ، هو الإشراق والخصب ليشفع فينا من مرض ومن
خطر ، فتتجلى بشائره ويطيب لنا السمر ، نناجيك يا حبيب أن تدعو
من أجل مصر ، فلا فرقة بين قبطى ومسلم فنعيش بعذاب أو ضجر .

القدس فى لهفة لكلينا يدا بيد ، يامن بكفيه الجواهر والدرر ،
حلو اللسان كنغمات الوتر ، نزل الوحي ، طلع البدر ، عشت فينا
مروج الروض ، والسر فرات سلسيل ونور على الجبين ، يبعث من
حب سيد الأنام ، من جاء ليتمم مكارم الأخلاق فننعم ، تاج القلوب
... حلو الرواء إبريق من زمزم .

كان رد فعل الحضور هو ما ألهب حماسى فخرجت الكلمات من

عمق فؤادى وكلى مطمئن أن المحبة العظيمة التى فطرنا الله عليها ستظل فى الأرواح راسخة حتى المنتهى، أما الفرحة العارمة التى ارتسمت على محيا الدكتور « أحمد » فقد أظهرت طيب معدنه وسمو روحه ، ولا أعتقد أن فرحته هذه كانت بسبب أننى لم أخذله ، كنت أتابع الفقرات التى امتدت حتى السادسة ، يا الله .. كيف مر الوقت ررقا كأن أنهار الدنيا تجرى سيل حب وامتنان بين الجميع ، فازداد تعلقى بالمكان والناس الطيبين ، انتهت الأمسية وقد حصدت الفرح غير منقوص .

تبادلت مع السيدات والفتيات أرقام هواتفنا فهذا اليوم لن يُمحى من الذاكرة ماحيت ، دفء المشاعر وفيض الأحاسيس باتا أكبر من كل القواميس ، اقتربت من الدكتور .

« أحمد » أشكره على حسن صنيعه فقد أهدانى كنزا فى الأرض والسماء ، ومددت كفى بالسلام وسلاما يابلادى ، لكننى فوجئت بإصرار عجيب من ناحيته على توديعى والاطمئنان على ، فأسرع بتقديم أجرة السيارة التى أقلتني بكرم كبير فانتابنى خجل شديد ، لم يسمعنى وأنا أقدم الشكر الجزيل ، ويكفينى أننى كنت فى معيته اليوم، لكنه لم يلق بالا لكلامى ، وراح يوصى السائق بالسير على مهل ، وأن ينتبه على الأمانة فى الطريق .

عندما بكى (البحر الأحمر) ..

خمسـة وأربعون يوماً لا أدري عنك يا حبيبي ،
الثواني تمرُّ على القلب كأنها دهر تطاول ليله ، أسأل
عنك مطر الليالي ، الفجر وشمس الأصيل ، أسأل
عنك كل ركن مررت فيه ، كل صديق ، كل جار ،
أكلم الأشجار وأحجار الطريق فتهرب عيني إلى
السماء .

أصرخ يا إله الكون ولدى غاب عن روحى ،
والقلب جمرٌ واللهيب أحرق خدى والوسادة ، أين
الولد وكل ولد تاه عن درب الأجرة في بلاد تغصُّ
بالشر والحقد اللعين ؟ من عندك الرحمة يارب ،
فلتنظر بعين الرأفة للمساكين ، إبعث ما يهدئ روع
القلوب ، تتابع الأخبار لحظة بلحظة ، ربما اليوم



بعد غد ، ربما الآن ، أو بعد ساعة يأتينا ما يُطمئنا فنعود للحياة من جديد .

كان الخامس عشر من فبراير ٢٠١٥ يوما أبت الشمس أن تمنحنا فيه بعض الدفء ، وبات الصقيع يلفُ المصريين ، ليلة ارتعد فيها كل ضمير صرخنا ليسوا مسلمين ، المأجورون يفعلون المزيد ، واقتسعت الأبدان وارتعدت فرائص الجميع بلا استثناء ، طابور الواحد وعشرين مصرياً شهد العالم كيف ساقوهم للذبح في مدينة «سرت» بليبيا ، عجز البحر عن العويل ، والماء المصبوغ يئن من وحوش سنوا النصال من الطرفين ، طفت الرؤوس على صفحة وجه الماء .

والعالم بين مُصدق ومُكذب فلم يدر بخلد أعتى الشياطين أن يقف خلف الكاميرا مصورون وضعوا في اعتبارهم أن يخرج المشهد بجودة عالية دون أن يرفَّ لأى منهم جفن ، وبما أن أمر الله قد صار فما على إلا شد الرحال إلى الأمهات بالصعيد ، حيث يشعرون أنهم لسن وحيدات وأن قلوبنا معهن ، ولم يُخفف بعض الألم إلا ما فعله رئيسنا الإنسان المشهود له بالوطنية فقد ارتأى « السيسى » أن واجب العزاء لرأس الكنيسة لسن يكتبل إلا بالقصاص من المجرمين، فدكَّ حصونهم في الفجر .

أو كانت أقسى رحلة أقوم بها بمفردى ، وما إن وطئت أقدامى مدينة «سما لوط مركز «المنيا» حتى ارتعدت فرائصى فأنا أمٌ وجدة ، فقد أصبحت على مقربة من لحظة اللقاء العصيبة ، أشرت إلى التاكسى كى يدلف بى الى قرى الشهداء ، « أبو أحمد » رجل خمسينى بدا على ملامحه شظف العيش كحال قرى الصعيد جميعها ، سألته عن أجرة هذا اليوم لأطمئنه أننى لن أقصر معه ، الشهداء كثر ولا يلىق أن نختار البعض دون الآخر ، خاصة أنهم فى السكن متجاورون فلم يجبنى واعتقدت أنه لم يسمعنى بعدما فقدت السيطرة على دموعى وأحزاني ، كان يطالعنى فى المرأة كثيرا ليتوقف فجأة أمام بقالة كان الخبز فيها متناثرا على أقفاص الجريد وبعض أكياس البطاطا ، وقليل من العصير الرخيص ، ليعود السائق وقد ابتاع كيسا من المناديل الورقية ، وعلبة من هذا العصير قدمهما إلى دون كلمة واحدة .

صحيح أن « أبو أحمد » لا يجيد الكلام ، لكن نقاء سريره أبلغ من أى حوار ، وكانت الأبواب جميعها مشرّعة ، الحداد فى كل البيوت ، مشاعر مالها من وصف ، الكل مكلوم طالعت الوجوه فلم أفرق بين أم الشهيد القبطية وجارتها المسلمة ، ذات الدماء وذات الرداء ، مررت على الجميع ، أحاول جاهدة أن أشاركهن جراحا لن تمحوها السنون .

وأبو أحمد في كل دار يجلس مع الرجال يتقبل واجب العزاء ، لنعود سويا لألحق بالقطار ، قدّمت له ما يستحقّ فجاء الرفض نهائيا قال : ولا ملّيم ، (الشهداء حبايبي أولادى) ولم يزد عن ذلك ، لأنهم في بكاء مرّ من فرط هذا الحنان الذى أضعف أمامه دائما ، فتغمرنى الدموع ، وقبل أن يطلق القطار صفّارته تركت بجيئه مبلغا من المال ، في رحلة العودة شعرت بأن صدرى يبدأ يتخذ طريقه للهدوء والسكينة ، أرى في المساحات الخضراء أفئدة مازلت أعيش بها ولها ومن أجلها أكتب هذا الكتاب ، في صباح اليوم التالى دق جرس الهاتف (حمدا لله على السلامة) وجاء صوت « أبو أحمد » حمدا لله على السلامة يا أبلّة.

أما (طريق السماء) الذى وضعت بين دفتيه مشاعر كل الشرفاء الوطنيين فقد ضمّنته قصتى مع « أبو أحمد » الذى فُطر على حب الآخر دون تمييز ، وأقامت ندوة لمناقشة هذا العمل الذى وجد استحسانا وقبولا من النقاد ، لأفاجأ بأن الدكتور « أحمد عبد الرحمن » أستاذ الشريعة أول الحضور وقد اصطحب ابنه البكر وبين يديه باقة ورود بيضاء (الدكتور أحمد الذى دعانى لأمسية في حب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، دون أن يدري أننى من أقباط مصر) .

قلت للشهيد :

ياحيبي... لا تكتب ، لا تنفعل ، وغُض الطرف عن طابور كان
على مرمى البصر.

لاتخف من جحافل اليأس تُشعل الكون ، فتصرخ النوارس
بأنات مُغترب ، لاتزعج من وجوه طغت بالقهر والكذب ، الجبان
من تخفى ليمزق الطير على أفنان الشجر.

من حرق السنابل وكرمة العنب ، نحو الصلاة انطلق ، نحو
السحاب نحو الشهب.

ولّى الألم وانفلات الجرح صوب المطر ، من أجل السماء
احتمل ، واظفر بالفردوس في زمان القهر واللهيب المستعر .

من الدم المُراق يولد الألق ، لن تساوم في المنافي ، لن تهادن
يابطل ، من البحور والقوافي سطر أروع الشعر ، أبياتا من فضة
وأخرى من ذهب ، لن تجف المحبرة ، لن يغفو الورق ، قبل أن
يكتب في الحنايا :

(هاهنا يرقد بسلام أطيب الثمر) ، والأنامل تهرع نحو أيقونة
الجمال والحب ، الشموع في ابتهاج والقناديل للشهيد بالطهر
تحتفل ، فلتدق النواقيس إيذانا بترديد المديح العذب .

من ظن أن وميض النصل إن شقَّ العُنق ويتهاوى الجسد ،

سُيْرُهْب الأبطال فهو سادرٌ في الوهم ، غاية المنى واحد وعشرون
إكليل ، تُطَوَّق كل الجباه عند الشفق ، وعلى صفحة ماء البحر
المُخَضَّب بالدم ، كم تراءت لهم وجوه الملائكة.

يا أمى ... افرحى ، كفكفى الدمع الهطول واسعدى ، يا أمى ...
لاتحزنى قولى لهم : ولدى للوطن مجد وفخر ، ولدى رمز
الفداء للأزل .

مصر ... الآن حان اللقاء للذود عنها من كل طامع يقود المواكب
الحمراء ، من دم الشهيد يعبّ الكأس فرحا وانتشاء ، يامصر أنت فى
الخاطر كرامة وإباء .

قنديلٌ يشعُّ سلاماً

بكلماته المُشعة تهفو الأفئدة اليه ، تلقى دعوة السماء فتقبلها طائعا ، وصار الحَبر المبارك خطوة .. بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ، صرح القداسة « البابا شنودة الثالث » ، البشاشة والحنو الشفيف كزهر الربيع ، بالحب يمد اليد ، إن صمت فحديث الصمت آية ، وإذا تكلم تُورق الأشجار .

أتى من فم الوجود ، القُرب منه يصب الشوق في القلب ، ويغزل طوقا من الفرح ، أنشده قصيدة رائعة الرنين ، فعشت حُلما لا يفارقني ، وصبّ في مسمعي لحناً من السعادة أعذب ، قلت ياسيدى : بك نعلو فوق الأحزان ، نرسم الفجر لتبدد ظلام مدينتنا ، تُداوى كلماتك جروحنا ، تفرد شراعنا بوجهك كى



نبحر الى المرفأ الآمن ونرسو ، علمتنا كيف نُعطر بروحك القصائد .
يازهرة الوادى ... يجذبنا إليك حوارك المطرز بأصداف اللؤلؤ ،
قلبك أبيض رقراق ، يعطر الأجواء ، بالدفاء السخى يذيب الجليد ،
تضئ غياهب الأغوار .

قلت : (مصر وطن يعيش فينا وليست وطننا نعيش فيه) فهكذا
يكون النداء ، تنطق بالحق في زمن مُر ، أنت نبع من كف الرحمة
الإلهية ، حين تنحرف السفينة عن المسار فتصيب الشركاء ،
لحصافتك وسمو روحك مفعول السحر في نبذ العنف ومد جسور
الود ، علمتنا أن التسامح منهج ، طوبى لمن شملتهم النعماء ،
علمتنا كيف نرقى بوجداننا ، كيف نسعى إلى مستقبل أكثر عدلا ،
فإذا خطبت فحانيا ، وإذا وعظت يشع منك الصفاء ، تحمى الحقيقة
لايعتريك الخوف والإعياء ، علمتنا كيف نتحمل كل ضيق بالمحبة .

تؤكد أن الوحدة الوطنية مناعة ضد من يتربص بالوطن ، تنبت
زهرا نرويه بالحب سويا ، وحين يسقط الدمع على وجنتيك تبسم ،
فتزيل ركام الخوف ، كم وهبت إخلاصا لمصر وبركة ، وسرى
بوعظك في العقول صفاء ، حصن الأمان للأرض العظيمة ، ومن
أجل المسيئين اليك ترفع الصلوات ، تبسم رغم الجراح الغائرة ،
وحين تنسل الخفافيش لترسم مرايا الألم في زمن الوحشة ، تُنقّب عن

أكاذيب تصدقها ، ورغباتها الدفينة تشتعل لحرق الوطن ، وحين تولد أفكار عاجزة مشوشة ، وحين يعلو الصراخ في زمن الفهلوة ، ونحن سجناء التخلف والحماقة ، وطن أنهكه الزحام فتاهت معالمه ، تمزقه فلول نظام عهد بائد ، يُدبر لشق الصفوف في ضراوة ، زرع حقولا من الحقد والخوف ، يُوهم الجموع بالمحبة الزائفة ، بقوافل الكلام والخطب ، أضاع الأخوة خلف الطيش والبطش ، نظام وأد أربعة عشر قرنا من المحبة ، فاستعذب الفتن ، والشعب لا يملك إلا الحديث عن الكفاح القديم يستلهم العبر ، يُردد في كل مجلس أن لكل منا شريكا في الأرض ، والهرم ، كعك العيد ، النهر وزميل المدرسة ، لكن الانكسار في القصيدة .

نقول : دم أحمد ومرقص ، ودم عرفات وبطرس في سيناء كان العنوان ، وطوبى للإنسان الباحث عن النسيان ، والجمرة تحت الرماد ، والزورق مكسور الشراع ، هذا قدرنا ننتظر ونرقب الشمس ، علّها تشرق في المغيب ، تمحو الضباب ، هاهو درب الثورة يعانق النهار ، ولم نعد نشكو الجراح .

وأنت يا منبع الضياء و كوكب المساء ، بالحكمة تُلطف الأجواء ، فتجلو الأعماق ، تضيئ خيوط الظلام حين تتعرّ الخطوات تروى ظمأ الروح ، فكلام الله قيم سمحاء ، الصوم زورق يحمينا من

مخالب الإعصار فاستجاب الله للدعاء ورسمنا فوق الجدران ،
علما بدم الشهداء أحمد ومينا ، جمانة وجيهان ، دم سطر الكرامة ،
سطر الخلود للأوطان ، الحبر الجليل ياعيون النهار ، نرسمك وطنا
ياوردة البلاد ، ياطلعة الفجر الندى وحبنا الأبدى ، سوف تبقى
قنديل سلام وقربانا ، كم نقشنا بك ولك أجمل عبارات الحب ،
ياموطن الخير والطهر .

كم كنت معطاء غزير العلم ، تنشر شعرك العذب الخصيب ،
أعدت لنا الزمان الولود ، حين تناغى بفكرك وجدان طفل وحكمة
شيخ ، وحلم بحجم الوجود ، فتحت لنا في رحاب الحياة معابر نور ،
وأنسام عشق ، وأنهار خصب ، وشمسا وزهرا وذاب الجليد ،
واليوم عدت إلى الذى وهب الجمال ، لقديس ملك القلوب فأليك
القصيد :

ياأيها الحبر الجليل هكذا وقت الرحيل
مصر التى أحببتها ومنحتها الفكر الجميل
وغرست فى أرجائها زهر التسامح والقبول
أهديتها الطهر المقدس والتراثيل البتول
فهى المبارك شعبها والخير فيها لايزول

كانت تؤمل أن تظل لشعبها الظل الظليل
لتبارك التغيير والشوار والمجد الأثيل
فلقد أضأت ربوعها في ظلمة الليل الطويل
وأبيت أن ينساق شعبك خلف دعوات جهول
تدعو إلى التمزيق للأوطان والرعب المهول
كانت عظاتك بلسما يشفى النفوس مع العقول
كنت السماحة والتسامح خلق مصرى أصيل
الله يا قديس مصر وفخرها حقاً تقول
يا طاهر الغدوات تبكيك المدائن والحقول
سافرت للملكوت تحمل حب مصر فلا يحول
يبكى الفراق شعب مصر بالدمع الهطول
يدعون رب الكون أن يجزيك عن مصر الجزيل
ستظل فينا ومضة الإيمان والخلق النبيل

الأبلة أسماء

صوتها الرخيم وهى تتحدث الفصحى مازال فى سمعى صده .. فى أوقات الجدّ أرتعد منه ، دافئ فى لحظات العطف والود ، صورتها لم تفارقنى أبداً ، قوامها الممشوق ، غطاء رأسها الحريري بلونه الرمادى الذى يميل إلى الفضى ، فمازلت أعيش على ذكريات مضى عليها أكثر من أربعين عاماً ، ولم لا وهى أول من علمتنا الانضباط بداية من .. قيام .. جلوس ، حفظ الفاتحة والآيات والأناشيد ، ثم القراءة والتعبير .

الحاجة « أسماء عبد الفتاح » أو أبلة أسماء ، قُوة شخصيتها جعلت كلمتها مسموعة أكثر من الناظرة ذاتها ، وياويل من يرتكب الخطأ ، على الفور يتم

استدعاء ولى الأمر الذى يهرع إلى المدرسة وقد ترك للحاجة «أسماء» اتخاذ ماتراه مناسباً دونما تدخل منه ، بما فى ذلك التوبيخ أمام الفصل ، أو الحرمان من الدراسة لبضعة أيام ، لكنها لم تستخدم أسلوب العقاب البدنى ، فلم أذكر أنها ضربت أياً منّا على الإطلاق ، كانت النظرة من عينيها كفيّلة بعودتنا إلى جادة الصواب ، الأبلّة «أسماء» كانت تدرك أننا نحجبها ونخشأها فى آن واحد ، ولذلك لم تترك الأمر على ماهو عليه بل تدعو المُنذِب إلى غرفتها ، وغالبا مايكون ذلك وقت (الفسحة) تقبله وتطمئنّه أنها سامحته شريطة أن يعدها بأن ما فعله يكون أول وآخر مرة ولن يتكرر ، ثم تربت على كتفه كأم حنون ، فيعتذر : آسف ياأبلّة .

أحبيناها وكم كنا نُفضى إليها بآلامنا وأحلامنا ومخاوفنا ، وكل مانحجل من أن نقوله لأمهاتنا ، صبورة تستمع لكل منا باهتمام غير عادى ، ثم تقدم النصائح وتتابع النتائج ، لدرجة أن العديد من التلاميذ بنات وبنين كانوا يلجأون إليها للشكوى من الخلافات الأسرية والّتي تُعيق تحصيلهم الدراسى ، ست سنوات لم نفارقها ، رغم وجود مدرسين للرياضيات والعلوم والاجتماعيات والموسيقى ، إلا أننى لا أتذكر إلا تلك السيدة العظيمة الّتي مازلت أكن لها حبا لا يضاويه حب إلا حب أمى .

مدرسة « الرشاد » بالمنصورة التى مازلت أعرج عليها كلما وطئت أقدامى مسقط رأسى، بالرغم أنه لم يتبق منها إلا سور متهالك، الفصول التى تقشّر طلاؤها، الردهات الممتدة ، والأسقف المرتفعة بلونها الرمادى ، صدى صيحاتنا وضحكاتنا يضىء الحياة التى بدت أكثر عنفا ، النشيد فى الوجدان مازلت أردده، بعض اللوحات الإرشادية الى جوار مجلات الحائط ، تحمل بصمات أصابعنا البريئة ، أرى التاريخ شجرة ، أهراما ونيلا ، مسجدا وكنيسة ، كلّ الأشياء كما هى ، وكأن نداء سينطلق بأوامر الناظرة (صفا - انتباه) ، تحية العلم .

أعود بالذاكرة عشرات السنين .. أتساءل لماذا أشعر بتلك القشعريرة الغامضة كلما مررت أمام الفناء ؟ لكن الأيام الماطرة التى تتجمع فيها المياه بركا صغيرة ، تكوّن أقواسا حين يعبث الهواء بسطحها ، كانت فرصتى الذهبية لأصنع مراكب من ورق ، لم أكن أدري ماسرّ سعادتى عند غياب بعض المدرسين ، فالكشف عن كراسة الواجب ، مصدر خوف وعذاب ، الآن بمقدورى أن ألعب ، أبذل مكاني ، أحكى القصص ، مخزن الكتب بنافذته ذات القضبان الحديدية فكان يشبه غرف التعذيب ، فكلما طالعت مئات الكتب ، تتسارع دقات القلب ، وركبتى تتخاذلان من الخوف ، هل بإمكانى أن أحفظ كل هذا ؟ لكن بين دفتيّ كتب الدراسة ، ظللت لسنوات

أخفى كتاباً أصغر حجماً .. ديوان شعر ، مقالات جذابة ، تجعلنى أحاور نفسى ، أسألها لماذا يبدو العالم غامضاً ؟ حب وكره ، حياة وموت ، ظلم وعدالة.

فى طريقى إلى مدرسة الرشاد ، كان لزاماً على التوقف أمام مطعم فلافل (توتو) ومكتبة « حسب النبى » ، فما زالا موجودين ، رائحة الفلافل فى الصباح الباكر ماأروعها ، وأما المكتبة فلا يكاد يمر يوم دون شراء قلم رصاص أو أستيكة طالما أضيعهما باستمرار ، وفى نهاية هذا الشارع مازال بيت الأبله « أسماء » فى الطابق الأرضى موجوداً ، بيتها الذى عاشت فيه مع محمد ، ومحمد هو ابن « سيدة » الفراشة التى توفيت بعد ولادته بأسبوع واحد وقد تركه أبوه ليتزوج بأخرى ، فكرست أبله « أسماء » حياتها لنا ولمحمد الذى تبنته ولم تتزوج من أجله .

عشقت مدرستى ومدرستى لدرجة أننى كنت أفتقدها بشدة يوم الجمعة ، وفى جميع الأجازات حتى المرضية منها ، فقد كنت دائماً مصابة باللوزتين وأتغيب كثيراً ، وما إن ترتفع حرارتى حتى تقرر الحكيمة العودة بالحنطور مع الفراشة إلى البيت .

أما عيد الميلاد المجيد وعيد الغطاس ، أحد الشعانين وعيد القيامة المجيد ، كانت أُمى تؤكد لى دائماً أنها أجازات رسمية وليس

مناسبا أن أترك مقعدى بين أفراد عائلتى فى هذه الأيام المفترجة حينما نجتمع على الغذاء بعد صوم ليس بالقصير لقضاء العيد بالمدرسة .

أما فستانى الجديد الذى كانت تُخصص له فترة الليل لتحكيه بدقة حتى ترانى فى أبهى صورة فأنا كبرى بناتها ، كنت أضعه على مقربة من سريرى مع شرائط ضفائرى ، وعند الصباح أرتديه على عجل لألحق بطابور الصباح.

فتصبح أُمى .. سوف يتغيب كل زملائك الأقباط ، ستكونين الوحيدة التى تفعل هذا ، هل ستركين إخوتك الصغار وحيدين ؟ وأقاربنا والجيران عندما يسألون عنك ؟

وأمام بكائى الشديد كان والدى يقنعها قائلا : (أتركها تقضى اليوم بالمدرسة ليست هناك مشكلة) فتقوم أُمى بتجهيز صحن كبير بعض الشيء تملؤه بالكعك والبسكويت والبمبون أقدمه للأبلة أسماء ، وتلتف البنات حولى وقد وضعت بين كراريسى (البمب والحبش والصواريخ) لنلهو بها فى الفسحة ، وعند بداية الحصّة الأولى تناديني أبلة أسماء : يا مريم تعالى على السبورة.

يابنات .. كلنا بصوت واحد : كل سنة وانت طيبة يا مريم عيد سعيد .

ثم تدعوهم للتصفيق ، وتذوق البسكويت ، وقبل أن أعود مجددا للجلوس في مقعدي ، كانت تُمرر أناملها على شرائط شعري ، ثم تُبدى إعجابها بالفستان الجديد الذي بُهرها أنه من صُنع أمي ، ولم أنس كلماتها الشجية :

(الله الله .. فستانك جميل جدا ، ليس به أى عيب يا مريم)

لحظة فرح صادقة أستدعيها كلما اشتاقت لصوتها نفسى ، وصرت لا أغيب أبدا إلا مضطرة في عيدي الفطر والأضحى ، ألعب مع بنات الجيران ، في حين تتزاور الأمهات وهن محمّلات بصحون الكعك والحلوى .

أنهيت المرحلة الابتدائية لكنى لم أنهى علاقتى بالأبله أسماء وظللت أحرص على زيارتها حتى تزوجت وأنجبت إبتنى البكر ، فكانت تنتظر زيارتى لتضم (رانيا) إلى صدرها قائلة :

اللهم صل على النبى ، ماشاء الله (تعالى عند تيتة يا حبيبتي) انحنى ظهرها وفقدت الكثير من بصرها ، لكن نبرتها وإن خفت ما زالت قادرة على التأثير في الوجدان ، تُهدد طفلتى قائلة (حج حبيجة بيت الله والكعبة ورسول الله) .

ثم تحاول أن تخبرنى عن بعض صديقاتى اللاتى لم ينقطعن عنها

أيضا ، ولم تأخذهن مشاغل الحياة عن أعز إنسانة في الوجود على قلوبنا جميعا ، أنجبت ابنتى الثانية وقررت أن أزورها كي أسعد قلبها بحفيدة جديدة ، وما إن وصلنا إلى بيتها حتى علمت أن اليوم هو أربعين الحاجة أسماء ، وكأن نصلا عُرس بروحى ، وبات الجرح غائرا حتى الآن كلما عدت بالذاكرة للردهات الممتدة في المدرسة وصوت الأبله مازال صدها (يابنات .. كل واحد على فصله) .

أبى توفيق (ما أروعك)

ما أروع تلك الساعات التى حفرت بقلبي سعادة
لم أعرفها الآن إلا مزيفة ، صوت أبله « فضيلة »
والحدوتة التى تعيش معى حتى صباح اليوم التالى ،
ربّات البيوت وعائلة مرزوق أفندى ، طريق السلامة ،
الأغاني الصباحية بصوت ليلي مراد وشادية ومحمد
فوزى ، كارم محمود ونجاة الصغيرة والعندليب .

أما صلاة الجمعة فكنت ألاحظ أن الرجل الطيب
يرفع صوت الراديو أكثر من اللازم ، فلما سألته لماذا
يامن علمتنا التحدث بصوت خفيض ؟ كان يجيبني
لنسمع الخطبة ، فيها مواعظ حلوة ، فصارت طقساً
أحببناه ، داومنا عليه سنوات وسنوات ، وكثيراً ما كان
الرجل الطيب يحضر صلاة الجمعة بالمسجد



للمشاركة في صلاة الجنازة على روح صديق عزيز أو قريب لأحد معارفه الكثر .

وأول من أدخل الهاتف الأرضي والذي ارتأى أن من حق الجميع استخدامه ، لم يكن يتوقف هاتفنا عن الرنين بعدما صار الرقم بين يدي الكل ، وما علينا إلا دق باب عم أحمد وعم عبده والأستاذ خليل والأستاذ إيميل ، أم سيد والست بشرى والذين يسكنون معنا في نفس البناية ، أما الحاج بهجت والحاج عبد العليم والتلباني ونيروز ، فاطمة وأم عليّة فكانوا جيراننا الأبعد قليلا ، كنت وإخوتي الصغار نظير الى كل هؤلاء ، نُبلغهم أن بانتظارهم مكالمات هاتفية ، وبات باب شقتنا مشرّعا على مدار الساعة في الليل قبل النهار.

سوق «ميت حدر» من الأسواق القديمة بعروس الدلتا وكان الأقرب إلى بيتنا بعدما نقطع كوبري السكة الحديد القديم ، كم كان يقفز قلبي فرحا ويد الرجل الطيب بيدي .

وصوت الفلاحات تنادين على الجبن القريش والبيض والزبد ، الليمون والفواكه والخضروات ، كان يهرع لكل من جلست دون أن تنادى على بضاعتها ، أستفسر لماذا ؟ فيأتي الرد : هذه فقيرة ومسنّة لن تجد من يشتري منها ، فلننفعها نحن .

ويهلّ الشهر الفضيل فلا تنقطع الكنافة والقطايف المحببة عن سفرتنا ، وما إن يضرب مدفع الإفطار حتى ألمح الرجل الطيب وقد حمل صينية بها نفس طعام الغذاء ليقدمه لحسين ، وحسين كم كان عزيز النفس لا يمكنه أن يطلب لنفسه شيئاً إلا مايجود به الجيران الذين أولوه الثقة فبات أهلاً لها ، نسافر ونعود وكلنا اطمئنان طالما حسين موجود ، وصرنا نتسابق من منا سيقدم الصينية اليوم ؟

وكانت أسعد لحظة تلك اللحظة التي كان يكيل فيها الدعاء لله أن يحفظ للرجل الطيب أولاده ، وأن يبارك في صحته بحق الأيام المبروكة كما كان يحب أن يقول .

وقبل أن يودّعنا الشهر الكريم ، نكون على موعد مع مشهد رائع مازال محفوراً بالفؤاد مشهد الصاجات فوق رؤوس الكبار والصغار ، وقد ازدانت بالكعك والبسكويت والغريبة في طريقها إلى القرن المجاور ، يصاحبها كلام التهئة من الشبايك والبلكونات بالعيد ، وتطلب أمي من الرجل الطيب أن يأتي بالدقيق ولوازم الكعك حتى لا يطل الصغار على صاجات الجيران ، وتأتينا الصحنون في صباح العيد من الأحياء ، تلك الصحنون التي عودتنا أمي ألا نُعيدها إليهم فارغة ، كان كعك أمي مع حبات البمبون والتوفى والملبس بألوانه الرائعة أهم مايميز طبق « أم مجدى » .

كم كان لشدة تعلقى بالرجل الطيب ما يميزنى عن إخوتى الأصغر سنا .

أولها أنه سيصطحبنى معه إلى قرية « دماص » التابعة لمركز « ميت غمر » لقضاء اليوم عند عمى « حسان » ألعب مع بناته ، ننظ الحبل ، وبالطباشير نرسم على الأرض مربعات لعبة (الأولى) ثم نشعل البمب والصواريخ ، نختبئ خلف الصفصافة والتوتة ، ثم يعرُج على بيت عمى « رشدى » والذى كان يجلس فى الفصل إلى جوار عمى حسان والرجل الطيب ، أما أروع اللحظات فتلك التى تضمّنّا جميعا على الغداء فى العيد السعيد ، ويحين موعد احتساء الشاي لثلاثتهم ، وهو موعد استعادة الذكريات التى يُردّدونها كلما التقوا فى المناسبات وبُتُ أعرف الكثير منها ، وعلى سبيل المثال عند زواج الرجل الطيب من « تريزة » ، حاول أن يقدم صديقيه للكاهن كشاهدين على عقد الزواج على اعتبار أنهما من أقربائه لينكشف السر أنهما ليسا من اتباع المسيح « عليه السلام » بعدما فشلا فشلا ذريعا فى قراءة (أبانا الذى فى السماوات) والتى تعتبر بمثابة الفاتحة .

أما أطباق المهلبية فما زال سكرها بقمى ، كنت لا أشعر بانقضاء الوقت إلا وصوت الرجل الطيب ينادينى (لملمى أشياءك سنغادر الآن) ، أما لحظة الغروب فهى لحظة مؤلمة ، سأغادر بنات أعمامى

اللاتى أحببتهن ومازلت أتواصل معهن حتى الآن ، وقد صارت كل منهن جدّة مثلى .

وقبل العودة إلى المنصورة لابد من زيارة الخواجه «عزيز» هكذا كانوا يطلقون عليه ، الخواجه «عزيز» هو عم الرجل الطيب الذى فضّل أن يعيش أعزب بعدما مات أخوه الأكبر تاركا ثلاثة أطفال أكبرهم الرجل الطيب الذى لم يتعدّ عمره السابعة حينذاك ، فقد نذر نفسه لرعايتهم وتدبير شئونهم ، أحببت جدّى كثيرا ، فحنانه وعطفه ليس لهما أى نظير ، فما إن يرانى حتى يفتح محفظته ليعطينى حقى من المضيوع تعبيرا عن حبه العميق طالبا منى أن أسرع إلى البقال المجاور لشراء (الحلوة) .

ولا يكاد يمر وقت طويل حتى يفتح محفظته مجددا لأعاهد البقال ربما انتهت نفسى بعض العسلية والنوجة واللبن ، ثم يعيد فتح محفظته قبل السفر ليضع بكيسى مبلغا من المال وقد طلب أن أقسّمه بالحق على إختوتى وأنا معهم ، جدّى «عزيز» أو الخواجه «عزيز» لم يكن يرضى أن نعود من زيارته إلا ومعنا زُودة كالتى يحضرها معه كل ليلة عيد عند زيارته لابنه البكر كما يطلق عليه دائما .

أما الزُودة فتحوى على الأرز ، الخبز الفلاحى الشهير والفطير

المشلت ، والذي يأمر الخواجة « عزيز » بعض الجارات أن تخبزنه على جناح السرعة مع برام الأرز المعمّر ، ومعلوم أن هؤلاء النسوة كن لا يرفضن له أى طلب فكان الخواجة يغدق على أولادهن بكل الخير.

أما أكثر ما كان يفرحني بعد الوصول إلى المنصورة فهو ركوب الحنطور من موقف السيارات حتى بيتنا ، أبيت ليلتي وأنا أتذكر حلو الذكريات في (البلد) يحدوني الأمل أن غدا أيضا عيد ، وبعده عيد وعيد ، كل ذلك يعود الفضل فيه إلى توفيق أبي .

فما أروعه !

سوف أحييا يا أمي .. سوف أحييا ..

- وكيف لك أن تبوحي بالحزن والوجع ؟
لا تبوحي ... من عينيك يطل الشجن ، وحشة
الصمت جعلتك تتألفين مع القيد والضيم ، لكنك في
لهف لقلب ، لحضن ، للضحك واللعب ، هكذا
يقول قلب الأم ، أدرى يا مريم أنك تشتاقين إلى كفّ
تحنان يحن للمسها فجررك ، لقنديل يضئ دربك ،
فمن يضم فؤادك العصفور ؟

- اليوم أسرع الخطى نحو الدفء ، فالحب قبل
الخبز دائما ، وياويل من يكون غريبا بين الأهل ،
الشوك وسادته ، المر شرابه ، الخوف أحلامه ، ولم
يعد يجدى الشعر والنثر وحفلات السمر ، جفت
باقات الزهر ، الذكريات ليست إلا بعض الصور ،



كم أشتهى الصدق وقلبا يرق، أتوق للنوم على جفن الصباح الغافى ،
لشط وطوق فأمضى إلى البر، دعوة للنغم ، الأمل فى الصباح حين
أنقش آيات الجمال .

-العطاء حياة فلا تبدي العطر ، لا تحببى الشمس ، لاتضيعى
العمر فى صومعة الآهات ، لاتسلكى الرمال ومحيط الزحام ، بل
صافحى ملاكا كل يوم ، ارتمى على كتفه ثم طوقيه بالحنان ، رددي
معه أنشودة الحب :

لم لا أحيا وظل الورد يحيا فى الشفاه
ونسيم البلبل الشادى حياة لهواه
لم لا أحيا وفى قلبى وفى عينى الحياة
سوف أحيا ، سوف أحيا ، سوف أحيا

- نعم تغربت فى الأرض وسط الضباب ودوامة من رؤى
موحشة ، وظلمة ليل طويل بطئ ، وبرد يجمد ظل الرؤى ، وأشباح
رعب تثور بصدرى ، أضاعت ترانيمه الطائشة فماذا أتى بى إلى بلدة
من جليد تسيجه الغربة الموحشة ؟

سأرجع حتما لدارى وأهلى ، وروحى بأرض تعيش الكرامة ،
لأننى تشوّقت للنور ، للزهر ، إشتقت أنداء المنعشة ، إشتقت
الفرحة المدهشة .. فقط على أرض الكنانة يتعانق جرس ومثدنة .

ماذا أفعل فى رحاب ليلة القدر؟!

هنأت نفسى حين دعانى صديقى الدكتور « أحمد عبد الرحمن » أستاذ الشريعة لليلة حب فى زمن الجذب ، فعند اللقاء تشرق كل الدروب ، كالصبح كابتسامة الينبوع، قطعة سكر زوادة الرحلة إلى « الأمسية » ، الليلة أحتفل وحرير غطاء رأسى يحتضن وجهى ، بين ذراعى نرجسة رماها على الدرب سفر ، شذى الحب يعبق داخلى ، أبني زورقا ، ألملم كل الحنين ، فأربح بأخوتى ماتبقى من عمرى .

وكم هنأت نفسى قبلا مرتين .. يوما فى حب « سيد الكونين » وكان أحلى من لثم الزهر ، ويوما فى الأزهر وكان « الطيب » أجمل من رأيت على الأرض ، أما اليوم .. فمعزوفة الفرح « ليلة القدر » ... أقول

فيها عذب الكلم :

جنتنا نخيل وظباء ، نسماها ترف بالطيب ، وهلالها يسعى
للاكمال ، ونحلات تسقينا حلوها ، الموسيقى حروفها ، يجذبنا
رونقها ، هي واحة جمال وخيال ، بلابل وظلال ، فرح يوقظ طيور
الفجر فنقبل على الحياة ، الأمل يحدونا في غد نير .

يا شهد القلوب ، في الكون ميناء نجاة

ليلة القدر .. تمحو الخوف ، بحنو شفيف تعانق الأرواح ،
وبالجمال الوجه البشوش تفوح بالعطر حين نمضي إليها لنرتو من
ظمأ ، للسجود والدعاء ، للمغفرة والحب الكبير ، يا الله .. دعوة
للأمل في « ليلة القدر » حين ننقش آيات الجمال لنسقي الصحائف
حبك وحب الرسول الكريم ، وتلك أسراب الطيور تتألق في الغمام
بين عطر وابتسام ، فلنوزع الخير في أنشودة الإمام ونحن نتوق
للدفع ، لإبريق من عقيق يسكب حلو الرحيق ، نهفو للمسمة فوق
الرؤوس .

«محمد» (عليه الصلاة والسلام) اسم نقشناه بقبس من ضياء ،
نقرأه قبل النوم حكاية (الطريق إلى الجنة) وعند إشراقة الفجر نروى
عطش الوجد بدفقة حنان وعذوبة ، وتلك الآيات البديعة ، تعانق
جمال السماء بحب فاض عن حنايا الصدور .

نتعلم من « أحمد » كيف يكون العطاء على الدوام ، لانسلك
الرمال فتتفرط حبات العقد ، حتما سيضاء النور فيطرح الشعاع حنانا
قزحي القطرات ، ينجينا من عصف الليالي ، من ظلمة ليل طويل ،
وبرد يجمد ظل الرؤى ، نناديك يا « محمود » عن دربك نبحت ،
من صبرك نتعلم ، نتلمس خطاك « يا سيد الآنام » نبقي رسمك في
الأحداق ، فيهلل القلب اشتياقا ، نرنو الى باب السماء في ليلة هي
خير من ألف شهر ، وقد شرّع يرتجى صدقا ونقاء سريرة ، فلنقتدى
في الليلة المباركة « بالمصطفى » يدعونا للقيم المثلى ، ولنجعل حبه
ملء الأفئدة يرى في أفعالنا وأعمالنا .

اليوم للوطن ينساب الدعاء شلالا ، للعروبة جمعاء ، فلنراعى
ميثاق الوفاء ، نناديك يا الله احفظ الولد والعرض ، نجنا من عذاب
النار ، من كل شر ، امنحنا أن نكمل حياتنا وقد غرسنا بكل ركن نبتة
الخصب ، نقاوم الضلال والكراهية ، نتشى بالكلمات الطيبة ، في
رمضان ، طول العام ، فلنهنأ في رحابك « يا طه » بالساعات الباقيات ،
يا الله اجعل من الدعاء أنشودة الغيث فلا ندوب من حر تنهيد ،
والأيام بلا مؤنس ، يا الله .. زودنا بالصبر إن عاندتنا الأيام ، وألا
نغيب عن درب به الأهل والصحب ، نروم الشعر في الطود نقول :

سر الحنين في الكوثر العذب ، من الإله كرم ، فلنبتهل بعناقيد من
روائع الدرر ، فياليلة القدر .. حلوا الرواء إبريق من زمزم .

المفكر الإسلامي

لم يعد الربيع بنسماته الرطبة ، وأريج زهوره ،
وفراشاته الحالمة موجودا إلا في الأشعار حينما
نصف لقاء الأحبة بالعطر الندي ، الربيع حينما نعانق
الأقمار ، كل لحظة رائعة في الحياة هي الربيع ، أما
صيفنا فبات حارقا يقترب كثيرا من طقس الخليج .

وفي حوارى مع إحدى الصديقات أشادت
بإحدى القرى السياحية بمدينة الغردقة ، فجمال
الطبيعة فوق الخيال، أما الهدوء وروعة المكان ،
وتميز الخدمات ما أبحث بالفعل عنه ، خاصة أننى
محاطة بالضوء على مدار العام ، وأسبوع واحد
كاف لتأمل الزهور ورسم القلوب على الرمال ،
أدعب النوارس والأمواج عند الغروب ، وعند



المساء أصطحب القمر رفيقا والنجمات وصيفات ، أتوقف تماما عن أنظمة الريجيم القاسية والتي غالبا ماتكون فاشلة فأنا أكره القيود ، سوف أترك نفسى أمام البوفيه المفتوح أختار مايروق لى خاصة (ورق العنب والمكرونه بالبشاميل ، وأنواع الكفتة المحببة أما برام « أم على » فهو الحلو) .

فبعد زواج ابنتى الصغرى أصبحت أجلس على السفرة بمفردى ، سوف أنطلق وأمرح على الشاطئ ، ويكفينى مداعبة البحر دون الغوص فى أعماقه ربما ابتلعنى ، وليس هناك من منقذ ، جميلة تلك المدينة ، مع السائحين كل الحق أن يأتوها من كل حذب وصوب ، ليلتى الأولى كانت استرخاء على موسيقى تم اختيارها بعناية فائقة من قبل القائمين على المكان ، وحتى لا أضيع الساعات البديعة للصباح المشرق بنور الله ، هرعت للشاطئ كي ألحق بمظلة لاتفصلنى عن البحر كثيرا ، أتأمل صفاء السماء ، أتذكر أشعارى وقد ضمنتها البحار والأنهار والزهور، الطيور والنخيل ، والإنسان حين يسبح بحمد الله ويشكره فى كل الأوقات ، كنت أدور ببصرى أطلع بعض المصطافين الذين حرموا فى بلادهم من نعمة الشمس فراحوا يأخذون أكبر قسط من خيوطها الذهبية وقد مددوا أجسادهم فى الرمال ، لكنى شعرت بالغيرة والكل يسبح ويستمتع فى بحر بلادى ،

وأنا مازلت لم أعانقه بعد ، فاتخذت قرارى بالسباحة التى لا أجيدها على الإطلاق علما بأننى لم أسبح أبدا ضد التيار ، ليفاجئنى الموج بدفء واحتواء جعلنا من الماء أرجوحة تهددنى ، فألقيت بكل الهموم فى أعماق البحار ، لكن هاتف كالبرق الخاطف أمرنى فى تلك الأثناء بالعودة إلى غرفتى على جناح السرعة ، رغم أننى جئت بكل ما أحتاج إليه إلى أن يحين الغروب ، وما إن دلفت إلى (الشاليه) حتى توالى دقات الهاتف الذى ميّزته بمقطوعة من روائع العندليب، وجاء صوته فى صدى الجدول .

-كيف الحال.

-الحمد لله .

_ أخبرينى عنك .

لحظة صمت طويلة ، لا أدري بماذا أجيب ، إن قلت إننى عدت من البحر فجأة لأنه مر على خاطر وأننى سوف ألبى نداء الهاتف الآن فلن يصدقنى أبدا ، وإن قلت إنه قلب الأم فالمتصل بالطبع ليس ابنى ، وحاولت أن أستجمع شجاعتي فورا.

- قلت (فرحانة جدا) ... أكاد لا أصدق .

- قلت لك أننى سأتصل .

بالفعل قال ذلك الليلة الفائتة ، لكننى لم أتوقع أنه لن يضع
الوقت ليكون هو البادئ بالاتصال فى صباح يوم اللقاء الأول ،
وبرغم كلماته المقتضبة إلا أنها حملت فى طياتها عطفاً ومودة سرت
بالعقل وبالفؤاد ، فُبُحت له بما اعترانى من هاجس ألح على فجأة كى
أترك البحر وأعود أدراجى لأمر هام ، مازلت لا أجد لذلك تفسيراً .
-قال : قلب المؤمن دليله .

-ليتنى ماسافرت يا أستاذنا الكبير ، كم أتوق للحوار مع
«الهللأوى» منذ سنين ، جئت المتندى ولم أكن أدرى أنك الضيف
الكريم ، كانت الفرحة أكبر من قلبى وأنا أراك لأول مرة وجهاً لوجه .
-القصيدة جميلة .

-ترددت كثيراً وأنا أطلب رقم هاتفك خشية الإحراج ، خاصة
وقد التف حولك عدد غير قليل من المريدين ، وكم خشيت أن
يكون للسكربتير دور فى تحديد المواعيد ، ولدى الكثير والكثير أود
قوله ، لكن الحمد لله كنت كريماً وهذا ليس بجديد .
-شكراً وإلى اللقاء .

كلمات خاطفة من مفكر كبير وعالم جليل ، علم من أعلام
الدعوة ، أول ما يلفتك إليه قلبه الملاك ، تواضعه الجم ، فانعكس

جمال روحه على وجهه البشوش فازداد رونقا وبهاء ، تلك الشخصية التي أثارت إعجابي وإعجاب الجميع حينما اتخذ قراره الجري بالانحياز للوطن الأبي ، ولا شيء غير الوطن ، وطن للجميع دون أى تمييز ، العنف ليس من الدين ، هذا هو مبدؤه الذى فطر عليه ، وطن عاد إليه بعد نفى واغتراب ، اشتاق إلى ترابه ، وكل ركن فيه له ذكرى تثير شجونه ، مصر التي أبكتها مازالت تبكيه كلما تذكر ظلم من يقبع الآن وقد بلغ من العمر أرذله ، ظلم مبارك (الديكتاتور) للأوفياء ، وهكذا قال التاريخ كلمته وأنصف الله المظلومين بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير التي كانت بداية لمرحلة جديدة من عمر مصر نحو العلا بإذن الله .

وأصبحتُ من فرط سعادتي أحكى عن لقائى معه للأصدقاء المقربين ، لأصدم فى رد فعل البعض الذين قالوا :

(لن يبقى كما تتمنين ، أتراهنين ؟ .. حالما اكتشف أنك من قوم عيسى سوف يتركك غير آسف عليك ، فلا مجال لكل هذا الفرح ، أنت واهمة والأيام بيننا يا مريم) .

هبطت الكلمات على مسامعى كثيبة ، سوداء ، مخيبة للرجاء ، لكن قلبى الذى يمتلك إحساسا رهيفا ولم يخذلنى أبدا ، كان يعلم أن هذا الرجل كنز قلما يجود بمثله الزمان ، فهو من خيار الناس وكما

جاء في أحاديث الرسول الكريم «عليه الصلاة والسلام».

(أن أفضل الناس أحسنهم أخلاقاً) أو كما هو معروف فإن الدين المعاملة ، وأن سيماهم على وجوههم ، وتذكرت كلمة البابا «كيرلس السادس» بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية في عهد الزعيم جمال عبد الناصر .

(كن مطمئنا جدا جدا ولا تفكر في الأمر كثيرا بل دع الأمر لمن بيده الأمر) وتركت الأيام تمضي ليزداد مع الوقت تأكدي أن المفكر الإسلامي الكبير يسكن بين جوانحه حب لا يضاويه حب ، يسعى لنشر الخير دون تفرقة بين الجميع فبات الرجل بالنسبة لى كل الناس ، وأصبح هو أول من يهتئنا بالأعياد ، أحب أسرته فصارت أسرته ، وصار ما بيننا أكبر من الخبز والملح ، حينما ظل يداعب ويحاور حفيدي بأعوامه العشرة وكأنه صديق عاد إليه بعد طول غياب .

فكم حفر بقلب الطفل عميق حب نقي مازال يتذكره كلما أتى من المنصورة لزيارتي في العطلات ، سطر معلم الأجيال بقلمه الرصين مقدمة ديوانى الشعرى وعنوانه : (إتولدنا) يحوى قصائد من القلب عن وحدتنا الوطنية التى تزداد رسوخا مع الأيام ، وجلس على المنصة ليكون أول المنذرين بالعمل الوحشى الذى قتل فيه

المصريون الواحد والعشرون على أرض ليبيا بين حضور مكثف من الوطنيين المخلصين ، لكن السؤال الذى أجّلتته كثيرا هل كان يعرف وهو القيادى الكبير فى مجال الدعوة عندما هاتفنى للمرة الأولى أننى من قوم عيسى عليه السلام ؟

وجاء الجواب نعم يا مريم .. وأنت تلقين القصيدة منذ أربعة أعوام .

الفارس في الوجدان

عندما هبت رياح الغضب هتف الشباب إرحل ،
شبابٌ كان يبحث في الزحام عن عيش وحرية ، عن
كرامة إنسانية ، حاول أن يفعل شيئاً من أجل كسر
حاجز الخوف ، والشعب يرتدى قناع الصمت ،
هتفوا من أجل الوطن الذي يحيا فيه الملايين تحت
خط الفقر ، يقطنون العشش والقبور ، تغيير منظومة
الفساد من أولوياتهم ، فهبوا بالملايين في التحرير ،
رافعين الأعلام في كل الميادين .

شباب اعتقدنا أنه فقد الإلتواء ، جيل الأغاني
الهابطة ، جيل الكرة ، لكن عزمته وإيمانه بقضيته
كانا السبب الرئيسى في رحيل الديكتاتور عن حكم
مصر بعد ثلاثين عام من الفساد لم يهتز ضميره أمام



دموع المقهورين وهم يقتاتون من بقايا الأطعمة على الأرصفة .

يناير ٢٠١١ رغم أنه قبس من ضياء ، إلا أن التحرير سيظل شاهدا على ميدان سقاء بالدماء شباب الطهر ، لقد شاهدنا كيف اندسّ المأجورون يعيشون الخراب في كل الأرجاء ، يتحللون صفة الثوار وهم ليسوا بثائرين ، بل لصوصاً كفتران الحداثق ، رأينا كرات اللهب تحرق كل نبت ربّاني ، رصاصات الغدر تنطلق في صدور الأوفياء ، ولكي يتم تشوية ثورة الشرفاء بدأ مسلسل التحرش وانتهاك أعراض الفتيات في الميدان يجري على قدم وساق.

وكان يوما أسود ذاك اليوم الذي أغلقوا على «فاطمة» الدائرة ، أعداد غفيرة من عديمي الخلق والدين ، قاصدين النيل منها ، لكسر إرادة كل الوطنيين في ميدان المجد والفخر ، وراح صراخ فاطمة يرتدّ في الفضاء ، خارت قواها فسقطت أرضا بعدما تكالب عليها الشياطين ، وقد نزعوا عنها قميصها وحجابها ، لينشق عن الصفوف «رؤوف مرقص» الذي انتفض مذعورا يحاول بكل ماأوتى من قوة أن يلملم شتات «فاطمة» فناله من الضرب والرّكل مافاق احتمالها ، لكنه قرر الذود عن رفيقة الميدان ، يُفديها مهما كان الثمن ، رمى إليها بعلم كانت قد داسته الأقدام ، كي تستر ماكشفه عنها الذئاب صارخا :

هل أنتم مصريون ؟ هل ترضون على أخواتكم ماتفعلوه الآن ؟
يا جماعة أين العيب أين الحرام ؟ أسئلة لم تجد من عديمي الرحمة أى
جواب ، ورؤوف يتلقى اللكمات ، نزع من الأنف والفم بغزارة ،
حاول الذئب أن يجروه بعيدا كي يتركها للأيدى القذرة تتلمس
عفتها ، بينما فاطمة مازالت تشبث بتلابيبه ، وبعدما فشلوا في إثناؤه
عن إنقاذها من براثنهم ، عاجلوه بأربعة رصاصات أردته على الفور
قتيلا ، وبين هرج ومرج استقلت فاطمة تاكسى كان يمر صدفة ،
فقد سترتها بائعة الشاي (بملاية سرير) كانت تحتفظ بها في
خيمتها بالميدان ، وإلى مشرحة زينهم حملت الإسعاف جثة
«رؤوف مرقص».

بعد عدة أيام شوهدت فاطمة في الميدان وقد رفعت لافتة كتب
عليها :

(رؤوف مرقص .. صوتك يا شهيد يحمل في عطره شذى وطن
أبى التاريخ أن يدفنه) .

المرض رمضان حارس الحضانات الأمين

وحانت لحظة المخاض .. يارب حافظ على
الطفلة وأمها ، يارب من عندك ساعة سهلة ، قلبى
يتألم وليس بيدى ما أفعله لابتى فى هذا الوقت
العصيب إلا الدعاء والكلمات الطيبة ، سويعات
ياحببتى وتنسين كامل أوجاعك عندما تضمين إلى
صدرك مريم (ست الحسن والجمال) .

فى مستشفى الشيخ زايد كنت أتابع من خلف
الزجاج لحظة الميلاد ، وكنت أول من رأى « مريم »
ومازالت متكورة وقد لقت بالأخضر ، أشرت الى
المرض كى يطمئننى أنها بخير ، فأشار بكل الخير .

الحمد لله يارب على عطيتك ، ولتكمل شفاء ابنتى
من جرح بطنها، فى صباح اليوم التالى عدنا إلى البيت،



وكلما طالعت وجه المولودة « مريم » تتابنى غصة شديدة فوجهها الشاحب والصفرة التي تعلوه لم تكن بالأمر الطبيعي أبدا كما يحدث عادة في الأيام الأولى للولادة ، ليقرر طبيب الأطفال بعد عدة تحاليل أن هناك خطورة على حياتها إن لم تلحق فوراً بإحدى الحضانات ، في هذا القسم تمزق قلبي على جميع الرضع الذين يعانون بشكل يبعث على الأسى ، وبدأنا في تسليم « مريم » لقسم الحضانات .

وما إن وقعت عيني على المسئول عن الحضانات حتى خذلتني ركبتي ، وشعرت أنني أهوى في بئر عميقة ، غامت الدنيا في عيني ، تلفنى الصدمة ، وفقدت النطق للحظات ، الممرض المسئول لا يتسم ، قوله مقتضب ، لحيته السوداء (لا أبالغ إن قلت أنني ارتعدت من هيئته) ، ولولا أنه يرتدى الأبيض ويعمل بالمستشفى لتركت المكان وهربت من أمامه ، سجلنا بيانات الطفلة وحاولت أن أتماسك عندما قلت له : أنا جدّة الطفلة ومستعدة أن أقبل يديك وأطلب ماتريد لكنى أرجوك بحق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (خلى بالك من مريم) أرجوك يا ولدى .

دقائق مرت كالدهر لم ينطق بحرف ، ولم أحاول أن أنظر إلى ابنتي وزوجها ، كل ما يشغلني هو « مريم » فقط وكأنها تخصني وحدي .

وسرعان ما طلب منا المغادرة فليس من المسموح الوجود على

الإطلاق ، ووجدتني أتكى على الجدار وضربات قلبي تشق الفضاء .
قلت له : أرجوك أعطني رقم هاتفك كي تطمئن روحي ،
ليسجل رقمه على قصاصة صغيرة ، أما رقم هاتفى فلديهم
بالمستشفى كأحد الأقرباء من الدرجة الأولى ، وعدنا بدون مريم ،
وكانت تلك اللحظة من أحلك لحظات العمر ، خاصة أن سرير
مريم قد خلا من وردته ، ومن أغطيتها وملابسها حتى بعض الحليب
الصناعي مازال بزجاجة الرضاعة يسأل عن صاحبه ، واختفت
الضحكة والفرحة ولم يتبق لنا إلا الدمع والأنين .

بعد حوالى سبع ساعات دق الهاتف ليظهر أسم الممرض
رمضان على هاتفى وكأن يدي قد شلت ، فقد قفز إلى ذهني أن
مكروها أصاب مريم ، وجاء جوابه فلتأتى الآن كي تشاهدي بعض
التحسن الذى طرأ علي الصغيرة ، لم أصدق وطرنا إلى المستشفى ،
حملها رمضان بين ذراعيه بحنو لا تخطئه العين ، لتبدأ السكينة تدب
في صدري من جديد ، وعلى استحياء حاولت أن أدس في جيبه بعض
المال (حلاوة الشفاء) إلا أنه رفض رفضا باتا .

خمسة أيام قضيناها على عتبات المستشفى ، لانرتجى إلا العودة
بمريم ، خمسة أيام ورمضان الممرض على هيئته فلم أضبطه يتسم
خلسة ، فالجدية والصرامة عنوانه ، لم يجلس لحظة ، فقط يدور بين

أسرة الأطفال في الحضانات ، واستقرت حالة مريم وتمثلت للشفاء، وقبل الرحيل دار الحوار بيننا:

-ابني رمضان لن تكفى كلمات الشكر على كل ما قدمت لحفيدتي.

-الشكر لله .

-لن أنساك ماحيت ، تركت معك نور عيني أمانة ، وللصدق كم خشيت أن تبدد بفعل الإهمال .

-الكل هنا سواء.

-أنت متزوج يارمضان ؟.

-مازلت أبحث عن ابنة الحلال .

-قبل أن أترك المستشفى دعني أصارحك ... كم خشيت منك كونك ملتحميا وبين يديك « مريم اندراوس » ، قضيت أياما حالكة السواد خوفي منك أن تقطع عنها التنفس ، أن تترك عينيها للضوء دون غطاء فتصاب بالعمى ، أو ترتفع درجة حرارة الحضانة فتصاب بالحروق ، سامحني ياابني الزمن لم يعد هو الزمن ، وكونك ملتحميا أصابني بالهلع ، وحيث أنفرجت لأول مرة أساريه ، لمحت وجهها طيبا تعلوه ابتسامة قال : يقول الله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ اَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا اِنَّا نَصَدَّقُ ذٰلِكَ بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسٍ وَرُءْبَانًا وَاَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٤٤﴾

-صدق الله العظيم يا رمضان.

أربعة سنوات يعيدنى وأعيده ، تزوج وصار أبا لابنتين .. شيماء
ومريم .

زينب والحب الأسطوري

عرس جميل وحفل فخيم دعونا إليه كل المحبين ،
لحظة فرح تتوق إليها كل الأمهات المصاييح على
الشرفات مضاءة ، الزغاريد منذ ليلة الحناء ، الأقارب
منذ ساعات الصباح الأولى وقد أتوا محملين
بالهدايا، أما فستان الزفاف فهو مفاجأة للجميع ،
طرحه التل وتاج اللؤلؤ من اختيار العروس ، باقة
الورود ترى من هى صاحبة النصيب التى سوف
تلتقطها من يد ابنتى البكر ؟ خاتم الزواج وقد انتقل
للبيد اليسرى، الموسيقى والشموع مع أرق التمنيات
بالرفاء والبنين ، كنت أنتقل بين الطاولات لتقديم
الشكر لكل الضيوف ، ومن ثم أكون أيضا على مقربة
من أهل العريس وإلا اتهمت بالتقصير .

كان جل همى أن تمضى الليلة على خير رغم الآلام المبرحة التى أخفيت عنها عن أقرب الناس إلىّ بما فيهم زوجى المسافر للعمل خارج البلاد ، وحانت لحظة الفراق التى أعرف أنها قادمة لا محالة حينما تأبطت ابنتى يد زوجها وقد لّوّا لنا استعدادا لبدء حياتهما الجديدة ، وسرعان ما تجاوزت هذه اللحظات الثقيلة فعبء آخر مازال بانتظارى ، فلم أبح بسر المرض الذى ألمّ بى أثناء فترة تجهيز ابنتى استعدادا للإكليل حتى لا أفسد عليها وأختها الأصغر فرحتيهما ، يومان أنتظرتهما فقط لزوم (الصباحية) وسفر الزوج وبعض الأقرباء الذين أتوا من الصعيد ، وفى اليوم الثالث حدد طبيبى المعالج موعدا لإجراء الجراحة ، وحرّت من يكون إلى جوارى أسبوعا فى المستشفى فقد اعتقدت أننى سأخرج فى اليوم التالى وأن الموضوع سهل كما فهمت من الطبيب الذى أخفى عنى الحقيقة حتى أنتهى من كافة المتعلقات الأسرية دون إبطاء ، فقط أبلغت ابنتى الصغرى أننى لن أغيب إلا يوما واحدا ومعها الخادمة ترعاها ولن تكون بمفردها ، وضائق بى الأرض فأمرى سيدة عجوز لن تتحمل خبرا سيئا عن ابنتها وفى غمرة التفكير أتت جارتى تدعونى لحفل عيد ميلاد آخر العنقود والذى يوافق موعد إجراء الجراحة ، وبهدوء قدمت اعتذارى لظروف خارجة عن إرادتى ولكنها صممت أن تعرف السبب الحقيقى للاعتذار ، لتنصرف دون أى تعليق ، لم

يكن هناك بد من مصارحة الطبيب بأنه ليس لدى مرافق يهتم بشئوني ، وقضاء أسبوع في المستشفى ليس بالأمر الهين.

طمأننى الطبيب أن هناك ممرضة أمينة يمكنها أن ترافقنى حتى انتهاء فترة النقاهة ، لملمت أغراضى ببطء شديد ، ودار بى الكون خوفا على ابنتى إذا عرفتا فجأة أننى أخفيت عليهما حقيقة مرضى ، وعند الثامنة صباحا كنت أستعد لدخول غرفة العمليات التى أكرهها فالخوف الرهيب مايسرى بأوردتى ، برودة غير عادية ، خيوط وإبر ومشارط ، ورائحة المطهرات النفاذة تخترق روحى فتخفقها ، أغمضت عيني كى لا تقع على كل مايمزق وجدانى ، وقبل أن أستسلم لطبيب التخدير، قلت : أرجوك يادكتور كل شىء بيد الله لكن أحب ابنتى كثيرا ، ربت على يدى وبعدها غبت عن الوعي تماما، لأفتح عيني قليلا أناس حولى كثيرون لم أستطع أن أميزهم ، أصوات متداخلة ؟ كأنى بحلم أو كابوس رهيب ، لا أشعر بجسدى وكأن جبلا جثم فوق صدرى حاولت أن أستجمع بعض قواى لكنى فشلت ، وشيئا فشيئا سألت أين أنا ؟ وكان الجواب حمدا لله على السلامة خرجت من غرفة الإفاقة ، الآن سمعتها لكنى لا أتذكر قائلها .

ياالله أشكرك انتهت الجراحة ، كان الطبيب مازال بملابس

التعقيم الخضراء يمازحني قائلا : ظللت واقفا منذ الصباح حتى الآن تعبت كثيرا وأنت تغطين بنوم عميق ولم تفعلي أى شئ ماذا أستحق منك ؟ كان لطيفا ودودا وأيضا أستاذا مرموقا فى مجال الجراحة العامة ، سألته هل أتت الممرضة كى ترافقنى ؟ فتعجب وقال : أختك معك منذ الثامنة ! ثم أردف : لم تكن ندرى أنها تُحبك إلى هذا الحد ، أبلغونى أنها ظلت واقفة حافية القدمين عشر ساعات كاملة أمام غرفة العمليات تقرأ القرآن الكريم ، لم تتذوق أى شئ حتى تطمئن عليك ، (ربنا يخيلىكم لبعض) .

لم أستوعب كل ما قيل ، فمازلت لا أرى إلا خيالات مع إحساس بدوار رهيب ، لكن صوتا ما همس فى أذنى .

- (عاملة ايه دى الوقت ؟) .

- من أنت ؟

- زينب .

- زينب أنا فين ؟

- حمدا لله على سلامتك يا مريم ، لماذا أخفيت على مرضك يا حبيبتي ، علمت كل شئ من الطبيب ، إهدئي ستكونين بخير ، وأنا من سيرافقك طيلة الأسبوع لاتحملى أى هم ونحن موجودون ،

سنعود سويا إلى بيتنا إن شاء الرحمن الرحيم وقد منَّ الله عليك بالشفاء .

اكتشفت أنني لايمكننى التحرك مطلقا فالجرح كبير وعميق ،
والمحاليل والدرنقة والأربطة كبلتنى فى السرير ، وطلبت من
«زينب» أن تقوم بفتح هاتفى لترد فقط على أولادى ، مرأسبوع
كانت فيه جارتى وهى زوجة لمسئول كبير فى الدولة من قامت
برعايتى .. الأدوية فى المواعيد ، تسقىنى العصائر مازحة أنني أتدلل
كثيرا ، وكانت لا تغفل إلا قليلا لتجلس إلى جوارى تخفف عني
الألم الرهيب الذى لم تعد تجدى معه المسكنات ، واستطاعت
بحنانها ورقتها أن تساعدنى كى أعبر تلك المحنة ، وعدنا إلى المنزل
لتكمل معى مابدأته ، كانت مسئولة عني فى أدق التفاصيل ، وبدأت
أتمائل للشفاء ، وكلما حاولت أن أعتذر لها عن تقصيرها فى حق
زوجها وأبنائها الثلاثة كان ردها :

-وماذا عنك يا صديقتى ؟

-النبي (عليه الصلاة والسلام) وصى على سابع جار ونحن
(الباب قصاد الباب) .

-أين صور عيد الميلاد ؟

-أجلناه لتكمل بك الفرحة .

-ماذا عساي أن أجيب يازينب .

-أنت أختي .

-وأنت وطن .

وتمر أعوام ثلاثة عانت فيهم زينب من آلام مبرحة بفقرات ظهرها ، حتى قرّر طبييها المعالج أنه ليس هناك بدّ من التدخل الجراحي ، أخفت عني زينب موعد إجرائها ، فقد كانت تعلم أنني مازلت أقيم بالمنصورة ومن الصعب أن أترك إبنتي التي مازالت تدرس بالجامعة بمفردها .

لكن الصدفة لعبت دورها وأنا أتصل هاتفيا للإطمئنان على زينب كعادتي اليومية حينما أخبرتنى إبنتها « نهلة » أن أمها ستجرى الجراحة الأحد المقبل ، وتحرص ألا يؤثر ذلك على التزاماتي العائلية ، وفور علمي شعرت بأنني أود أن أكون مكانها فلا تتألم زينب لحظة واحدة .

لست فقط مدينة لك بحياتي يازينب ، ولكنك توأم الروح ، أخشى عليك خوفك من رهبة غرفة العمليات ، أخشى عليك ملازمة الفراش لفترات طويلة وأنت طائر الحب الذي يتنقل في كل مكان ليسعد كل من حوله ، شعرت بأن زينب إبنتي وليست

صديقتي، وقرّرت ألا أتركها أبدا رغم وجود زوجها وإخوتها وأولادها إلى جوارها، حرّمت حقيقتي وسافرت إلى القاهرة، وعند وصولي المستشفى كانت قد دخلت لتوّها غرفة العمليات، وظللت أدعو الله أن يتم عليها نعمة الشفاء، وأن يحفظها لي ولأسرتها من كل مكروه، مرّت ساعتان ونصف حتى طمأننا الطبيب أن زينب بخير لكنها مازالت تحت تأثير المخدر الذي سرعان ما تبخر عندما بدأ صراخها يهز أرجاء المستشفى، ووجدتني أحضنها والدموع تحرق خدي.

- حمد الله على السلامة يا (ورّة) هكذا كنت أداعبها.

- لماذا جئت يا مريم.

- ليتني كنت مكانك فلا أراكي تتألمين.

- أرجوك عودي إلى المنصورة، إبتك وحدها.

- وأنت إبتتي.

إنسان جميل اسمه (مؤمن)

طرقات خفيفة على الباب ، لم أهتم لها فمن يدق على الآن ؟ مازال قرص الشمس لم يفرد كامل خيوطه على المدينة المطلة على البحر الأحمر ؟ لم أستطع أن أكمل نومي بعدما تلاحقت الدقات ، قفزت من فراشي وقد تملكني الخوف الشديد .

-من ؟

-آسف حضرتك ... آسف.

-من أنت ؟

-مؤمن .. أحضرت هدية متواضعة أرجو أن تقبلها مني .

-ربما أخطأت العنوان .



-لم أخطئ يا أمي ، وجئت مبكرا كي ألحق بالقطار لزيارة الأهل بقنا.

-انتظر قليلا .

ومددت يدي لعباءتي التي دائما ما تسعفني في هذه المواقف ،
واربت الباب لتمتد يدا مؤمن بسرعة .

-تفضل هدية عيد الأم ، لم أشأ أن أسافر دون أن أودعك .

-لحظة واحدة ... دعني أفتحها وأرى ما بداخل هذا الكيس .

-تأخرت كثيرا ... إلى اللقاء .

أغلقت بابي وجلست في حيرة من موقف مؤمن ، فتحت هديته
لأجد شموعا ، ومرآة لحقيبة يدي ، فنجاني قهوة برسومات
فرعونية، بطاقة صغيرة وقد دون عليها (كل سنة وأنت طيبة) .

التوقيع .. ابنك مؤمن .

وبرغم سعادتي لأن هناك من يتذكرني بزهرة أو بطاقة ، إلا أنني
تألمت بشدة لأنه لم يعطني الفرصة لأرد جزءا مما قدم إلي ، وبات
صعبا العودة إلى النوم ، وظللت أتابعه تليفونيا لأطمئن عليه في رحلته
الطويلة .

أسبوع واحد قضيته بمدينة الغردقة بإحدى القرى السياحية

والمشهود لها بالهدوء الشديد ، والسكون التام الذى يجلب هدوء الأعصاب ، فتسبح مع الأمواج والنجوم وما بينهما موسيقى ناعمة تبعث على الاسترخاء ، الإستيقاظ مبكرا كان يلقي رغبة فى نفوس النزلاء ، فإشراقة الفجر والنسمة الندية مع عطر الورود تخلق فى النفس حالة من السعادة ، فلماذا أحرم من نعم الإله ؟ وعند الساعة كان موعد الإفطار ، وتلك مناسبة لقراءة الصحف اليومية وعند التاسعة أعود إلى غرفتى وقد أعيد ترتيبها ، بعض الورود على الطاولة ، أشكر عامل النظافة وأشعر بالخجل كونه شابا فى مقتبل العمر ، شاءت الأقدار أن يأتى من جنوب الصعيد ليعول أسرته ، كان عفيفا لا يقبل أى تحية ولو ضئيلة ، فإذا غضبت لردّه يدي امتدت يده لقطعة من البسكويت قائلا :

(حتى لا تزعلي)، كنت أحاوره أحيانا وكم أفضى إلى بسر حزنه الشديد من بعض النزلاء الذين يطالعونه كل يوم بنظرة دونية ، وصرت أنتظره عند التاسعة لنكمل حوار الأمس ، أما اليوم قبل الأخير من عمر الرحلة ، أخذتني الدهشة من كم الورود التى صنعت صليبا بطول السرير وعرضه ، صليب أبهج قلبى بشدة فالألوان المحببة إلى نفسى تتعانق مع الأوراق الخضراء والشراشف البيضاء ، سعادة غمرتني فذكرتني بصباح العيد وورود أبى التى عودنا عليها ، فكان يعشقها ويزرع أنواعا من النباتات فى بلكونة بيتنا ، فى هذا اليوم

لم تقع عيني على مؤمن ، سألت زملاءه عن رقم هاتفه .

-أين أنت اليوم ؟

-أنهيت مهمتي مبكرا فالجو شديد الحرارة .

-مؤمن .. رسمت بالورد صليبا زينت مخدعي بأوراق خضراء ؟

-بالأمس تحدث عنك ، فقررت أن يكون ورد اليوم كما تحبين .

-ألف شكر .. أراك في صباح الغد .

أبهرنى ما فعله مؤمن فقد زين روعي بالفرح ، أعاد إلى قلبي صدق
مشاعر لم أعرفها إلا مزيفة ، قدّرت حسن صنيع هذا الشاب الذي لم
تلوّثه الأفكار الرديئة كم أضاع من الوقت ليكون الصليب في أبهى
صورة ، من المؤكد أن الفكرة التي طرأت على رأسه وكان مازال بين
أقرانه ، أراد أن ينفذها بعدما أغلقت بابي لأترجل بين النخيل وشط
البحر .

حزمت حقائبي فقد آن أوان السفر ، ومؤمن لم يشأ أن يأتى كما
وعدنى مبكرا ، وعلى استحياء لمحته قادما بخطوات متثاقلة ، ربما
لمح السيارة أمام الباب ولم يعد هناك من الوقت الكثير .

-مؤمن ليس لدى ما أقوله سوى كلمات الشكر لقلب عامر
بالحب .

-طميننى عليك وتصحبك السلامة.

حاولت أن أدس مبلغا من المال فكبّل يدى ، وقبل أن أعترض سقطت دمعة سرعان ما أخفاها.

خمس سنوات مضت ومازال « مؤمن » هو أول من يبادر بتهنئتى فى العيدين وعيد الأم ، « مؤمن » دون أن يدري طمأن قلبى أن الخير بهذه الأرض لن ينضب أبدا .

أنطونيوس وفهيم

أربعون عاما هي عمر المحبة بين الجارين اللذين أصبحا مضرب الأمثال ، فمن الأمور العادية جدا ، أنه إذا عاد « أنطونيوس خليل » عند الظهيرة واشتم رائحة طعام شهى في بيت عائلة الحاج « فهيم عبد النبى » فيذهب على الفور يدق الباب .

فيقابل من الجميع بالترحاب الشديد ، أما أبناء «فهيم» فلا يبرحون بيت « أنطونيوس » خاصة بالأجازات ، وبات من المسلّمات ألا يظهر أحدهما دون الآخر ، توفى « أنطونيوس » بعد مرض جعله طريح الفراش لعدة سنوات ، لم يؤنس وحدته بعد وفاة زوجته « كاميليا » إلا فهيم وعائلته ، وكان كل الخوف على الحاج « فهيم » أن يصاب بمكروه لشدة

تعلقه بصديق عمره وأغلى الناس على قلبه ، فليس من السهل عليه أن يتناول شاي العصارى دون رفيق دربه الذى لم يأت من سواه على أدق أسرار ، لكنه حاول مع الأيام أن يتجاوز الصدمة والأحزان ، من خلال رعاية أسرة جاره والاهتمام بأولاده .

حتى جاء هذا اليوم المشئوم حين شبت النيران بمنزل «أنطونيوس» بعد منتصف الليل ، وتعالى الصراخ والدخان الذى شقَّ عنان السماء ، ليهرع « فهيم » دون أدنى تفكير إلى شرفة غرفته ومنها إلى شرفة جاره غير عابئ بالأخطار ، ربما سقط من الدور الرابع ، لم يعبأ بالنار التى اشتعلت بملابسه ، كل ما شغل باله فى تلك اللحظة هو إنقاذ الطفل « مايكل » بأعوامه الستة ، بحث عنه فى كل الغرف فلم يجده ، شئت الأقدار أن ينجو من الحريق ، وبينما تواصل سيارات الإطفاء مهامها ، أسرع الجيران طلبا للإسعاف محاولين إنقاذ جاره وعشرة عمرهم ، لكنه كان فى النزاع الأخير فقد أتى الحريق على كامل جسده ، وشئت إرادة الله أن تصعد روحه إلى بارئها ، بكاه الجميع واتضح أن « مايكل » هو حفيد «أنطونيوس» .

الشهر الفضيل

المنصورة جميلة أحمل لها في قلبي عشقا نادرا
وحنينا كبيرا كلما عدت إليها خاصة في رمضان ،
فدقات طبول المسحراتي كان لها وقع مخيف خاصة
مع ليالى الشتاء الباردة ، فقد كنت أعتقد أنه يدق
ليوقظني وحدي في الظلام فأترك الدفء وأذهب
للمدرسة حتى طمأنتني أمي ذات مرة أن المسحراتي
يُوقظ الصائمين فقط قبل صلاة الفجر لتناول طعام
السحور ثم يعودون للنوم مجددا ، وتمر أيام الشهر
الفضيل فإذا بالمسحراتي يدق في الصباح الباكر
فأهرع إلى الشرفة لأراه وجها لوجه ، بينما تناديه كل
الجارات وقد حمل في طياته كيسا يجمع فيه ماتجود
به النسوة وهو محاط بالأطفال الذين علت وجوههم



الفرحة بالملابس الجديدة .

وعرفت أن هذا اليوم هو أول أيام عيد الفطر المبارك ، وبدأت أشارك أطفال الحى فى اللعب والفرح بأيام العيد الثلاثة ، ومازال صوت أمى عالقا بذهنى وهى تهمس لوالدى (فلتأت لنا بمتطلبات الكعك والبسكويت حتى لا ينظر الأولاد إلى صاجات الجيران) وكم كانت سعادتى وأنا أفتح الباب للجارات وكل واحدة منهن تحمل طبقها وتطلب من أمى أن تذوق (عمايل إيديها) فترد أمى .. (عملنا صاجتين للعيال) ، ومرت بى السنوات ، تزوجت وأنجبت بنتين ، وعشت فترة ليست بالقصيرة بإحدى دول الخليج ، ومعلوم أن رمضان برونقه وبهائه وطقوسه المميزة لا يمكن أن تشعر بها إلا على أرض مصر ، وعدنا إلى المنصورة بعدما التحقت ابنتى بالجامعة ، وأختها بالمدرسة الإعدادية .

وهلّت علينا بشائر رمضان ، ورأيت الناس فى الحى الذى أقطن به الكل يتسابق لتعليق الزينات ، والفوانيس الكبيرة لتضاء ليلا ، فى الوقت الذى تسمع فيه التهاني (كل سنة وانت طيب ، يعود عليك الأيام بخير) وصوت عبد المطلب ورائعته (رمضان جانا) كنت ومازلت مرتبطة بهذا الصوت الرخيم ولا اعترف بأى أغنية أخرى لرمضان غيرها .

بالروعة هذا المشهد البديع ، وأخذتني الغيرة وقلت لنفسي (رمضان ملكي أنا أيضا) وعلى أن أسعد وأسعد بناتي ، فالمشاركة في حد ذاتها فرح كبير ، كما أنني أحببت ان تعتاد الابتان على العطاء والمحبة عمليا ، وألا نحرم أنفسنا من أية مناسبة أرى من وجهة نظري أنها فرصة قد لا تعوض مستقبلا ، الفرح الحقيقي في تبادل التهاني من القلب وليس نفاقا ، ثلاثون يوما من السرور بتلك الروحانيات وتأمل الناس في كلام الله ، والعودة إليه لمن حاد عن الصراط المستقيم ، نستعيد أنفسنا إن شغلنا الحياة عن واجباتنا نحو صلة الرحم ، التسامح والعفو وبدء صفحة جديدة من عمر المودة مع كل من أذانا أو أذينا ، بقصد أو من غير قصد ، الإحساس بالفقراء والمعدمين ، كلما كان هذا التصور الطيب يدور برأسي أقول ، يارب إنها فرصة أغتنمها ، سوف أرفع الذراعين وأطلب منك المغفرة لي ولكل البشر ، فلتسامح عبادك المخلصين ، يارب استجب فأنت أرحم الراحمين ، ورحمت أبتاع فانوسا بألوان زاهية تميل إلى الوردي ، تخير له الكهربائي مكانا مميزا لتزيد بهجتنا وسعادتنا ، وكلما لاح الغروب كنا نتسابق من سيضيئه ؟

وعاد المسحراتي يدق بطلته التي كان صداها يهز أركان البيت كله ، خاصة أننا نسكن بالطابق الأول ، وبدأت أسرد لإبنتي حكايتي مع فانوس رمضان فأحبته وأصبحنا تضحكان كلما طار النوم من

أعينهما ، كنا نتجاذب أطراف الحديث حتى يكمل رحلته ، ويخفت صوته ، فنعاود النوم من جديد ، أما إفطار حارس العقار فكان نصيبى من الجدول الذى قرره مجلس إدارة البرج السكنى تقريبا ثلاث مرات طوال شهر رمضان ، وأنا أعلم أن لإفطار الصائم عند الله ثواب عظيم ، ومع كل مساء أكون على موعد لتقديم الكنافة والقطايف للابنتين كما عودتهما ، أما أكثر مايهز مشاعرى فهى موائد الرحمن التى يجتمع عليها الفقراء والأغنياء ممن هم على سفر ، الكل فيها سواء ، لحظة رائعة تلك التى أستمع فيها إلى الشيخ النقشبندى بالتواشيح الرائعة واللحن الشجى ، أما المولد النبوى وعاشوراء فهى المواسم التى دأب عليها عمى « حسان » ومازال يرسل أحد أبنائه بعلبة الحلوى التى عشقتها من نعومة أظفارى على يديه ، وعندما أهاتفه لتقديم الشكر يكون جوابه (عادة ماتتقطعش ياابنتى) فأرد عليه (آمين) ياعمى ، الله لا يحرمنى منك ، الله يبارك فيك .

وبما أن عمى من أهل الكرم فكانت حلوى الموسم تكفى عائلات وعائلات ناهيك عن بلح النخيل المزروع فى حديقة بيته وبيتنا القديم ، كان يعلم أيضا بعشقى للفتير المشلت بالقشدة ، فيرسله ساخنا ، وأنا بدورى أقسم كل هذا إلى عدة صحون لأقوم بتوزيعه على الجيران .

أنهت ابنتى دراستها الجامعية وباتت ورثة آن لها أن تتفتح ، بعد عدة أشهر فاتحنى ابن عمى « أحمد حسان » وكان ضابطاً بالقوات المسلحة أن هناك جندياً هو بالأصل طبيب صيدلى أعجب به وارتأى أنه قد يكون مناسباً للزواج من إحدى بناته كما كان يحب دائماً أن يقول ، فقد أنجب ولدين وكم تمنى أن ينجب بنتاً .

أما المفاجأة فكانت حينما سأل الجندى وكان قائده بالقوات الجوية هل أنت مرتبط ؟ ليجيبه أن المشوار مازال طويلاً أمامه ، صحيح أنهى خدمته العسكرية لكنه لم يعمل بعد ، فيقول له : لى عروس مناسبة لك .. إينة أختى ، صدم الجندى فكيف يتزوج إينة أخته واسمه « جورج » ؟ وصمت عن أى حوار ، ثم أردف القائد اطمئن فالعروس بمثابة ابنتى ، وتمت الخطبة العائلية ثم شهد ابن عمى على عقد زواج ابنتى ، تماماً كما شهد عمى « حسان » على عقد زواج صديقه الوحيد « توفيق » رحمه الله عليه ، علقت المصاييح على كامل العقار قبل موعد الزفاف بثلاثة أيام ، وبدأت توزيع بطاقات الدعوة للعرس السعيد وتنهال الاتصالات متسائلة قبل المباركة :

كيف يتم هذا الزواج فى الكنيسة يامريم ؟

وعندما ضحكت ولم أجب ، فهم أننا من أقباط الوطن ، وعند السابعة وفى ذات الكنيسة التى شهدت زواجى ، دقت الأجراس

إيذاًنا بمراسم الإكليل وتُوجت العروس بباقات الورود التي باتت في كل ركن ، فقد حضر الجيران وجيران الجيران .

تزوجت إينتى الثانية ، وبدلت الوحدة طعم الأشياء، لكنى أحاول كلما جاء رمضان أن أستعيد حلول الذكريات مع الأحفاد .

حوار بين قلبين

مريم : ياموطن الشمس والأصداف ، طفت الكون
أبحث عنك وراء النجوم ، ودبيب الحب
بالفؤاد ، حلم شهى ، وليت للأحلام
أجنحة تمد ظلا على ييدائى.

محمود : سبقت العشاق فى مركب الفجر ، وأى فجر
يلوح لى خلف عينيك فأنسى وجدى
وطول مسائى.

مريم : حفرت اسمك بدمى ألم تبصره على الجسر
والنهر ؟

ماعدت أحيا بدونك يا أول من قادنى
للحروف الجديدة ، كم مررت بالكون
غريبة.



محمود: تعلمين أننى لا أتكلم كثيرا ، لكننى أعدك أن أداوى ماأتلفه الدهر.

ياحبيبتى .. على ضفاف النيل راحت أغانيها ، تراود حنين العاشقين ، ظلا والوانا وصورا ، هديتى إليك ساعة بمعصمك ، هاتف كلما طالعت البدر تشتاقين لهفى ، وطفلين ضجا فى حكايا ممتعة ، يصنعان حلمهما أرجوحة من أحضان الشجر ، حتى إن سافرت قمم الجبال ، سأدخل عينيك .

وقبل الرحيل ... تبادلنا الأعلام ذكرى لأوطان لن يغادرها الدفء ، تتوق للعدل ، وحديث مبلبل بالدمع ، ثم نامت الكف بالكف.

محمود: لن يمتد ذهابى ، افرحى ياكل حروف العشق، سوف أجتاز بك حدود الزمن ، أترقب مجيئك عندما تردد النجوم أهازيج الفرح ، وأبدا لن نفترق ، هذا هو التاريخ يعود بعد صمت طويل ، يمزق صفوف المراوغة ، يكتسح أقبية الظلام فى الوطن المكبل بالقهر والزيف ، والناس بين أزقة الخوف عرفت تباعد الأحرف.

مريم: يا حبيبي العمر ضاع فى لقاء وأسفار ، اليوم مات

الظالم ، صحوة أعادت الأمجاد الى مصر ، أنتظرك لتعود
الروح إلى الجسد ، أنتظرك كي تشرق أعلام النصر ، لا
لا تظل بعيدا . اقترب .

ثم راحت تصب الماء كي يتوضأ ، وأن وقت الرحيل وآه
من وحشة الصفير ، أخرج محمود من جيبه إنجيلا .
ثم قال لها : صلي من أجل مصر يا مريم .

مريم : مسافرة الى الوطن الحبيب ، الى مجلس الذكريات واللىالى
القمرية ، الشعر والأمس الجميل ، أحبيك برسالة ود ،
أغلق عليك القلب وأنا لم أعرف الانتظار من قبل ، علمتنى
رجفة الضلوع عند اللقاء ، وكيف أعيش العمر بين جفنيك .
محمود : حبيبتي .. الحواجز الوهمية بيننا وضعناها أمام عيون
تتلصص ، لكن الحب يطل من المآقى يفضح السر الدفين ،
كأن العمر يرنو إلى العشرين .

مريم : لو وضعنا القلاع والعتاريس ، وارتفعت أماننا كل الحصون
فإنها لن تكبل قلوبنا ، مازال الشوق حلو الرحيق ، سوف
أمضى إلى بيتى ، وإلى جوار حديقة الحب أعلق صليبا كنت
قد أهديتنى ، فأنت تعلم كم للصليب لدى من معنى عميق .

محمود : علمتنى الأيام كيف أجمل زمنى ، أحلق فى الكون ، أهرب

بالحلم ، أطارد الخوف ، أصمد للعاصفة .

مريم : يا عاشق النور ليكن الرجاء قنديلا نتسلق به غصن الليل .

محمود : ما أجل أن أتدثر بصفائك .

مريم : يا قلب الطفل .. الليلة تعود العاصفير .

محمود : عشت العمر أبحث عنك .

مريم : صدق المشاعر أمر نادر ، تبادلناه حين أمرت السماء أن يكون اللقاء على شاطئ النيل .

محمود : سأظل أتوق إلى المجدى .

مريم : ستسألنى شموعى عن الدفء ، عن اللحن رائع الشدو !

محمود : قولى لها : كل النجوم الشاردة تتجمع فى فضائك ، تختبئ خلف الأغصان فى مرآة الفجر طيوراً تلتقط الحب والحب .

مريم : أعلم أن عمر الحب أيام .

محمود : بل كل الدهر .

مريم : أخشى قطار الليل .

محمود : الحب فى الله يدوم للأبد .

حفیدی الغالی ..

بصوت حزين ...

- سأسعى جاهدا لنرحل عن وطن لم يعد حصنا
لنا ، لن أضحي بكما ، ماذا يساوى العيش وهذه
الأنواء ترسم في ملامحنا الألم ؟
_نهاجر.

_ كفانا التغنى بأمجاد الماضي ، كلما أَلَم بنا
وجع أشقانا وألھانا عن نعمة الحياة ، كدت أكره
الوطن ، فبعد آلاف السنين والعالم يبحث عن
المستقبل في المريخ .

مازال يطرح السؤال : هل يجوز تهنئتنا في الأعياد
وتعزيتنا في الأحزان ؟



لنرحل فلا منارة أو جرس يقرع ، نستجدي غير مصر وطنا.

يطرق الحفيد رأسه ، لن أهاجر وأترك عمر !

تهنئة

جئتُ أهنئك وفي القلب حريق ، لاتبك ، «خالد
سعيد» فتح لـ «مينا دانيال» الطريق ، بين الورود
والملائكة يهنآن ، يُرتلان حبا ونورا ، مسلم مسيحي
في السماء مع الأبرار ينعمان ، شهيدان أسقطا بالحق
عار السنين ، صارا نبضا للأوطان ، فالطيور لن تكفّ
عن الغناء سيظل التحرير قبرا لمن يُهادن ، سأريح
وإياك عمرا جديدا كلما أشاروا إلينا ، قولى لهم :
مصريان في ضمير الناس صنعا المجد العريق .



الحاج جرجس عبد المسيح

وبما أنني أقدر تماما كم الألم الرهيب الذى يشعر به مرضى الانزلاق الغضروفي وأعرف أنه بسبب التكنولوجيا الحديثة أصبح المصريون ضيوفا دائمين على عيادات أطباء العظام ، بعدما صرت ضمن الذين يعانون آلاما مبرحة لم تعد تُجدى معها أقوى المسكنات - وكان اليوم موعدي مع أحد الذين يشار إليهم بالبنان فى مجال جراحة العظام ، ومن الطبيعى أن تكتظ عيادته بالعشرات من الذين يتكئون على أزواجهم وأبنائهم وأيضا يتكئون على العكازات ، وبينما الكل ينتظر دوره ، هلّ على العيادة مسن وهنت عظامه يتحسس مقعده بعصاه ، جلس وحيدا بائسا تنهدج أنفاسه ، يتمتم .. يارب يارب ، فأثار عطف

وإشفاق كل المرضى ومرافقيهم ، وسرعان ما خرجت إحدى السيدات عن صمتها ، وقالت للعجوز : ألف سلامة عليك يا عم الحاج ، اللهم اشف مرضى المسلمين جميعا بحق جاه رسول الله .

فيرد المرضى : آمين يارب العالمين .

دقائق معدودات ونادت الممرضة على الكهل المريض .

الأستاذ جرجس عبد المسيح .. اتفضل

لتضيّج العيادة بالضحكات .

هاتوا المأذون

لم أكن أدري سر الهمهمات والهمسات وأحيانا بعض كلمات الغزل التي لا تخطئها أذنى وذلك عند السادسة مساء ، موعد الذهاب إلى محطة الأوتوبيس وبين يدي قائمة طلبات أسرتى ، وبما أننى لا أجيد الأعمال المنزلية ، فقد كلفت بقضاء حوائج البيت ، كنت أشعر بالخوف دائما وأنا أرى تجمعات الشباب تحت أعمدة الإنارة فجميعهم من أبناء العاملين الذين منحتهم محطة الكهرباء شققا سكنية ؛ ومع تكرار المعاكسات اليومية أفضيت لأمى بما يعترينى من توتر ورعب كلما رأيت هؤلاء الشباب الذين لا يكفون عن الضحك بصوت عال ، يتقاذفون الكلمات التي تجعلنى لا أقوى على المسير ، وبما أن



تعليمات أمى القادمة من أقاصى الصعيد ألا أرد على كائن من كان فى الطريق ، ألا ألتفت يمينا أو يسارا ، وأن أسير كالألف على حد تعبيرها ، لايسمح لى بعد الآن إلا حضور اجتماع الشابات كل أربعاء بكنيسة « الملاك » بالمنصورة ، لكنها وعدتني أن حلّ هذا الأمر سوف تتركه لوالدى كى يتصرف بطريقته ، ثم فوجئت بقسوة غير مبررة فكلما خرجت إلى الشرفة منعتنى ، لتقرر أيضا أن كل مايلزم البيت منذ الآن فصاعدا فهو ليس من اختصاصى ، وفى إحدى المرات واكب الاجتماع عرسا بالكنيسة ، وأخذنى الفضول أنا وصديقاتى كى نشاهد الإكليل ، وكأننا ضمن المعزومين ، ولاداعى لحضور اجتماع الشابات هذا الأسبوع ، راقت لى الفكرة ، ووجدتها فرصة لأتنفس بعض الحرية ، ولامانع من أعيش حلم اليقظة بالفستان الأبيض وطرحه التل إلى جوار عريسى فى كوشة تمتلئ عن آخرها بالورود من كل لون ، وبينما الكل يصغى للوصايا التى يلقيها الكاهن للعروسين ، لمحت سيدة تطيل النظر بوجهى وكأنها تعرفنى ، وانتهى العرس فإذا بهذه السيدة تمسك ذراعى وقد علت الفرحة وجهها وسألتنى :

- أنت مخطوبة ؟

- لا .

- فرحتينى يا ابتى.

- لماذا؟

- بصراحة أبحث عن عروس حلوة لماهر وأعجبت بك ، وقلبي لا يكذب أبدا .

- ممكن أعرف عنوان البيت ؟

وأعطيتها الاسم والعنوان ، وأيضا جاوبتها على بعض الأسئلة ، كالعمر والتعليم ، إخوتى وعمل والدى ، عدت إلى البيت بمشاعر خوف ، أما الفرح فحرصت ألا يظهر بملامحى ، أخبرت أمى بما دار بينى وبين هذه السيدة التى شعرت معها أنها طيبة وحنونة ، لم تعقب أمى على كلامى وصمتت تماما ، مرّ يوم ، يومان ، ثلاثة أيام ثم مضى أسبوع على هذا الحوار وعند السابعة من مساء الجمعة ، دق الباب ليفتح والدى مرحبا بضيوف لم يخطئوا اسمه ، وكانت التقاليد فى هذا الحين ألا نجلس مع الضيوف فى غرفة الصالون إلا بإذن ، لألمح فقط أمى وقد دلفت للترحاب وتقديم عصير الليمون البارد ، وظللت أنا وإخوتى الأصغر نتلصص لنعرف من هؤلاء الزوار وماذا يدور بينهم ؟ مرت ساعة تخللها إعداد القهوة ، وفهمت من أمى أن من حضرت مع الشاب تلك السيدة التى قابلتني فى الكنيسة ، أتت لتبدى إعجابها بى ، وتود أن أكون عروسا لابنها

الوحيد ، الطبيب الذى يعمل بليبيا وأتى فى أجازة قصيرة وتتمنى أن تفرح به فلم يعد فى العمر إلا القليل على حد تعبيرها ، وللحقيقة لم أفهم لماذا لم يدعونى والذى لتقديم القهوة كما تفعل كل البنات حين يتقدم إليهن العرسان ، لحظة كم تمنيتها بينى وبين نفسى ، ليفاجئنى والذى أن « ماهر عدلى محروس ».

يطلب فى حالة الموافقة أن (نكتب الكتاب) قبل إنتهاء أجازته والعودة إلى ليبيا ، وبعدما اكتشفوا أننا نتزوج بمراسم (الإكليل) ، لم يندهشوا أو يمتعضوا ، بل ضحكوا وقالوا : ليس لدينا ما يمنع أبداً ، إن وافقتم فلنقرأ الفاتحة .

بعد ثلاثين عاما ، وبينما كنت أنجز معاملة مالية بالبنك الأهلى ، لفت انتباهى من يحملق بى ويقف إلى جوارى فى طابور الرجال قلت إن هذا الشكل ليس غريبا على ، ثوان حتى أعاد التركيز فى عينى وبسمة من عينيه ، وما إن أدرت وجهى سريعا حتى بادرنى قائلا :

صدفة رائعة كيف حالك يا مريم ؟ حاولت أن ألملم شتات تفكيرى ، لكن سرعان ما أسعفنى الله لأعود بالذاكرة للوراء كثيرا .

دكتور « ماهر » يالها من صدفة عجيبة ، تكلمنا فى نفس اللحظة ثم ضحكنا ، فعلينا الإنتهاء من معاملات البنك أولا ، بعد ذلك نتحاور على مهل ، وبالفعل انتظرت قليلا حتى أتى إلى حيث أنتظر ، وكان

سلاما دافئا ، تزوج وأنجب ولدين ، وأنا لدى بنتان.

أخبرنى بأنه عاد من ليبيا واستقر بالمنصورة ، توفيت والدته السيدة الطيبة التى أحبتنى من أول لحظة ، وعاش فى بيت العائلة ، ثم أمسك بيدى ليعرفنى على زوجته الدكتورة «محاسن» وعلى بعد خطوات رأيت سيدة جميلة الشكل والهندام ، وقد علت الدهشة وجهها فكيف «لماهر» أن يسير مع أخرى وماسر تلك الفرحة ؟! وبصوت جهورى.

قال لها : يامحاسن .. سلّمى على مريم ، مريم التى كنت سأتزوجها ، لكن محاسن لم تنبس ببنت شفة ، وسرعان ما عادت للجلوس على ذات المقعد وهى زائغة النظر ، أما أنا فلم أتمالك نفسى من الضحك ، ثم أردف ماهر (إطمئنى يامحاسن طلعت مسيحية ، من ثلاثين سنة رحنا نخطبها لكن ...) .

لحظات صمت إنفرجت بعدها أسارير الدكتورة محاسن ثم قالت : (إحنا فيها لسه) .

ثم صارت محاسن من أعز الصديقات .

ثلاث هدايا من أختي (منال) ...

وجهها الذى لاتفارقة البسمة ، ضحكتها التى
تُشرح الصدور أول مالفتنى إلى تلك السيدة التى
سكنت إلى جوارى بالمنتزة ، ونحن نقضى أجازتنا
الصيفية ، كانت تُلقى إلى بالتحية بينما أنا منهمكة
بقراءة الصحف اليومية فى حديقة الشاليه ، وأحيانا
تحاول أن تتجاذب الحوار عن روعة الطبيعة خاصة
مع ساعات الصباح الأولى ، تعشق البحر مثلى لكنها
لاتجيد السباحة ، تحدثنا عن أمور الحياة اليومية التى
تشغلنا كأمهات ، إنها فرصة جيدة للتعارف بعدما
شعر أولادها وأولادى أنهم يرغبون فى اللعب سويا .

أسعدنى الحظ أن التقى بالدكتورة «منال» التى
جاءت من مدينة «دمياط» لتستمتع بالهدوء فى



«المنتزة» بعيدا عن زحام مصيف «رأس البر» والذي لا يبعد عن دمياط كثيرا ، إتفقنا أن نقضى فترات الصباح على الشاطئ مابين الشمس الرائعة والهواء المنعش بينما نخطط أيضا لفسحة المساء ، والصغار أمانا يمرحون ، من الرمال يصنعون بيوتا ومراكبا سرعان ماتتقاذفها الأمواج ليعيدون بنائها من جديد ، مرت الأجازة كالحلم الجميل ، وحن موعد عودتهم إلى دمياط ، أما مشهد الوداع فكان صعبا علينا صغارا وكبارا ، لكنها وعدت أولادها ألا تحرهم من لقاء أولادى ، فالمنصورة ودمياط لا يبعدان كثيرا ، إفتقدت «منال» كثيرا فى تلك الأيام لكننا كنا على تواصل دائم ، إحدى هذه الإتصالات جاء فيها صوتها حزينا جدا ، لقد رحلت أعز الحبايب والتى تقيم معها منذ سفر زوجها الدكتور «عبد الله» للعمل بالتدريس فى جامعة الرياض ، وكان بديهيّا أن أقدم واجب العزاء إلى من شاركتنى أحلى الأيام ، ووجدت أن خير تعزية هو تقديم آية كريمة من الذكر الحكيم ، تُدخل على قلبها السكينة .

قلت لها : يا صديقتى لم أكن أتمنى أن تكون أولى زياراتى كى أعزيك فى مصاب جلل لكنها إرادة الله (عز وجل) وعلينا أن نتقبّل كل شىء بالرضى والشكر فقالت : (و) نعم بالله ، ، (و) قدّر الله وما شاء فعل) .

بعد عدة أشهر أدّت منال مناسك الحج ، هنأتها ، فكم كانت تتوق لزيارة الكعبة التي ارتأت أنها فرصة أيضا لكى تبرأ روحها من الأحزان لفقدان الأم ، وعادت الحياة إلى طبيعتها تدريجيا .

وقبل أن ينتهى العام أصدرتُ ديوانا بعنوان (أزهار الخريف) وقررتُ أن أوجه الدعوة للدكتورة «منال» ليس لكونها صديقة رائعة، ولكنها أيضا أستاذة اللغة العربية بكلية آداب دمياط ، ومن المؤكد أن رأيها فى العمل الجديد سوف يؤخذ بعين الاعتبار ، رحبت كثيرا ووعدتني أن تأتى بالأولاد ليلتقوا جميعا بعد طول غياب ، وكان بديهيًا أن أدعوها لطعام الغذاء سويًا ثم الذهاب إلى الندوة عند السابعة ، قبل أن يصدق جرس الباب سبقني الأولاد كى يستقبلوا الأحياء ، دلفت منال إلى الصالون وكلى سعادة بهذه الزيارة ، وبينما أمطرها بكلمات الترحيب والشكر لله بسلامة الوصول ، لمحت عينيها تدوران على الحوائط والأركان ، والدهشة تكسو وجهها ، تنبّهت سريعا أن المفاجأة التى عقدت لسان منال هى صور السيد المسيح عليه السلام ، صور القديسة الطاهرة مريم والملاك ميخائيل .

أما الصليب الذى أهدانى إياه «محمود» وهو أحد الأصدقاء الطيبين بعد رحلته إلى إيطاليا ، كان من بينها الفاتيكان ، فقد علّق فى

غرفة المعيشة التي نقضى بها معظم الوقت ، فأيمانى أن الصليب يمنحني وعائلتي البركات ، وسرعان ماتحولت نظرة الدهشة إلى نظرة حب مصحوبة بالإعجاب.

قالت : يا مريم ليس لدى ما أقوله ، تلك هديتى إليك.

قلت : ما بيننا أكبر من الكلام وأكبر من الهدايا يا منال ، الأولاد بالغرف يمرحون دون سؤال عن الصليب والهلال ، والآن تفضلى لتذوقى ماطهوته خصيصا للغالية وأولادها .

قالت : إفتحى الهدية أولا وبعدها نستمتع بالوليمة يا مريم .

لتقع عيني على ثلاث هدايا (سجادة صلاة ، مسبحة ، قنينة من ماء زمزم) .

يانور عيني ..

يا شهيد الوطن الأبى ، محمد ومينا ، بطرس
وصلاح الدين ، مع الأبرار والملائكة الأطهار، اليوم
تهلل السماء يا شهيد ، تروم طلتك ، تعال للنور ،
للجنة ، لنبع فرح يدوم للأبد ، فارتوى من شهد
الحب ، كنت للفداء بطلا في قلب الخطر، لاعليك
يا ولدى من أعمى الفؤاد والبصر ، فما زال يطبق
بكفيه على السهام ، في وضع الاستعداد وقد غشاه
الظلام ، يضغط على الزناد ، فيسرع المهللون بتحيته ،
تطوقه الشياطين لتشد من أزره ، تدفعه للانتشاء
بدمه ، ولتدوى الزغاريد في كل الأنحاء ، والآن حان
وقت تقاسم الثمر الشهي ، الليلة عيد ، قتلنا الجميع ،
من دق على الكف الصليب ، ومن نطق الشهاداتتين



ليموت الكافرون ، من أعالي الكهوف يبيت الهؤلاء ، في أقاصى الدجى يستيبحون النبت والطير ، لا يألّفون الجمال وحُسن الطباع ، بجنون ، بشهوة الذئاب الجوعى يقتنصون اللحظة للانقضاض على الفرائس ، لا يألّفون الحياة إلا بالخداع ، باللظى وعتوّ الجبال ، ثم ينامون قريرى العين ، يحلمون بسيل جديد من الأشلاء والدماء ، يتخيلون عجباً بوهم النصر ، يمعنون فى الشر ، الغل فى العروق يستجير ، يلاحقون الكروان على الأفنان ، عاشقون للقبّح والدمامة ، الضمير مات منذ قرون ، يحيون فقط للأثام عاما بعد عام ، يعقدون مع الشياطين كل يوم صفقة للخراب ، لدمع الرضع والصغار الأمهات والأحباب.

فإلى رب الكون .. إلى من من أحبنى وفيه اكتمالى ، أنا على يقين .
بأنك لن تنساني ، فالروح عندك والزهور غدت طليقة الأغصان ، دعوتك راجية أن تحتوينى حتى ألفظ حقدى على الجانى ، الحقد الذى يشقّينى فيذوب قلبى من آثات وجدى ... ياربى ... كأن ثُقلا يعصرنى كلما تراءى لعينى الذئب يُعربد بالسيف فى شغف لنحر ابنى ، أحيا وأفنى دون اتزان ، أضيق بصمتى وجفا البوح لسانى ، جريحة أتلوّى طريحة بالمكان ، ولدى الراحل عنى هل يرانى ؟ بيوم الأم تذكرت صباه ، وجهه الغض الصبوح ، ويده تمتد بزهر ندى يعانقنى ، ثم يدعونى كى أغمض عينى ليضع بقمى سكر النبات ،

ياإلهى ولدى بين أحضانك يغفو ، أنت الأحنّ عليه منى لكن السقم
أحيانا يتسلل الى روحي ، أحتاج اليك ياإلهى تتشلنى من عواصف
الحرمان تسرى ، مُد يدك تحتضنى فما كنت يوما غافلا عنى ، فى
الفرح أو فى الضيم لا تدعنى .

ياإلهى .. أشتاق إلى إبنى ، فمذ عام كان هنا يخبئ هديته ثم
يفاجئنى عندما يطبع قُبْلته على خدى ، اليوم (عيد الأم) وأرى
«مصطفى» قادما بالورد يتبعُننى ، فى كل ركن يضمنى ، كم أتوق
للمسة حانية « يا جرجس » وقد هفا قلبى لحبيبي ، أذنو الخطو منه
صرت أناديه فيرجع لى صدى صوتى .

ياإلهى .. ولدى الشهيد عطر الكون حولى وبات لايفارقنى ،
أعيتنى قوافل الهواجس ، حُلِمى الدامى يطاردنى ، فى صدرى بركان
الغضب حبيسا كالمارد يزأر ، ياإلهى .. أنصتْ إلى صرختى ، داوى
عميق جراحى ، ياإلهى متى يبصر أعمى القلب والعين ؟!

وياولدى .. سيكتب اسمك فى التاريخ بالذهب ، بأجمل لحن ،
سوف نتغنى بك جيلا بعد جيل ، اليوم عرس فى السماء بين الحور
والقديسين .

الأم تريزا

إسم جهير في عالم النبل والسمو الروحي ،
الشخصية الإنسانية الرفيعة سيذكرها التاريخ بسطور
من نور ، « الراهبة الهندية » التي وهبت حياتها
للأطفال كل الأطفال ، للفقراء والمسنين وجميع
المهملين ، كم داوت جروح المصابين في كل أنحاء
العالم ، فاستحقت الاحترام والتقدير .

قالت : تأمل الطبيعة لتعرف مدى قدرة الله في
الإبداع ، وأن أصحاب الضمائر لا مكان في قلوبهم
للمكر والنفاق ، التدين الحقيقي هو اكتساب
روحانية جديدة تضيء الأعماق ، نحن جوعى إلى
المعنى المقدس ، قناديل الإيمان ، نكبح جماح الشر
عندما يلقنا الظلام ، قال السيد المسيح (له المجد) :



ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

« الأم تريزا » استحققت نوبل للسلام ، جمال المرأة في روحها ،
حنانها في الاحتواء ، أنوثتها في الصدق والبساطة ، وابتسامة تكفي
البشرية ، الجمال جمال العقل ، والحب حب الإنسان لأخيه الإنسان.

مجدي يعقوب الأسطورة

بعض الناس يجمّلون لياينا ، يمنحوننا الدفء
والعشب الطيب ، واحة جمال وخيال ، بلابل وظلال ،
هم شهد القلوب ، « مجدي يعقوب » في الكون ميناء
نجاة ، يحمل بين جوانحه قلبا يزعجه النزف ، بحنو
شفيف يمحو الخوف ، كأجنحة الحمام المهاجر يعانق
القلوب اليائسة ، عاشق حلیم وكوكب الشرق ،
كالورود يفوح عطرا ومحبة ، إشراقة رسمتها ملامح
وجهه البشوش ، يمضي بخطى الواثق لأن عزمًا في حنايا
نفسه لم يصب يوما بالوهن ، لا يشكو التعب حين يشمر
عن ساعديه ليداوى الجرح ، يفيض نقاء وعذوبة ، حب
مصر المتغلغل في أعماقه زاد يقينه أن القادم نور وبهاء ،
عاشق للعلم .



لا يهتم لتلك القلوب التى غشاها الظلام وماجت بالأحقاد ،
وحين تطل علينا بوجهها الكئيب ، تزرع بالفرح السكين ، أقلامهم
زور وبهتان ، فالدكتور جراح القلب الشهير « مجدى يعقوب » قلما
يوجد بمثله الزمان ، الطبيب الأسطورة كلماته البديعة تجتذب
العقول والأفئدة حين يتحدث عن الصرح العملاق بأسوان ، جل ما
يشغله علاج المرضى دون تمييز ، هو نبت أصيل من هذه الأرض
العظيمة ، لن ننسى حين لملم ابن النيل حقائبه ، مشارط ، أربطة
وضمادات ، دواء ، وبسمة تربت على قلوب الصغار ، ضحكة تزيل
ركام الهموم عن عيون الأمهات ، دون ضجيج يداوى جراح الوطن
والمعذبين ، (مجدى يعقوب) يرتفع دائما كالشهب التى لا تغيب .

تهنئة خاصة جدا

عصفورة تاهت عن السرب ، جابت السماء
بحثا عن حضن الوليف ، ترنحت من الإعياء والخوف ،
على الحجر العتيق تنن من برد ونزف ، والسحب
لا تترقق ، على خاصرة الرصيف كان قطار الليل يمضى
بسرعة البرق ، لأحد يرق للبلابل أو زهر الياسمين ،
في مساء اليوم التالى لمحته مُمتطيا جوادا أصيلا ،
لملمت جناحيها ، فتشت بين الصخور لترقد على مقربة
من كئبان رمل ، ربما التقطت حبات قمح سقطت سهوا
من طائر ليل ، زرفت عيناها دما فصرخت أين الوطن
والنشيد ؟ لتمتد راحتاه في اليوم الذى أنهى فيه العام
نصفه الأول بشعاع قنديل ، فضمّد جرحا تسلّل إلى
الجسد المنهك .

أدفاً الفارس صقيعها قائلاً : يا حنيني للربيع وصباح العيد ،
لا عليك من الغربة والريح ، لاتلغنى الزمان وصخب المسار ، لن
أترك دمعك الغالى حبيسا داخل فؤاد عصفور مستكين ، دعك من
الركب الغريب ، لنمضى الى الحقول الصبح آت يجمع على الود
قلوبنا ، غردى حبا وطيبة يا كنانة ، ارفعى الجبين يا محروسة ، وهكذا
لوح الفارس النبيل القادم من نيل الوفاء بالأمانى الحبيبة ، فتماهت
درة الشرق بين كفيه وصارت وإياه لمواسم العشق قصيدة .

وبينما تقام صلاة القداس الإلهي لعيد الميلاد المجيد ، فوجئ
المصريون جميعا بالرئيس « السيسى » بين جموع المسيحيين
بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية لتقديم التهنئة إنها حقاً لحظات
لاتنسى ، ورسالة قوية للخارج والداخل ، فنحن بالفعل وطن واحد ،
علم واحد ، مصر الساكنة بأعماق رئيس مسلم مؤمن بأن (الدين لله
والوطن للجميع) .

منصورة يا منصور ..

في حضن نهر الخصوبة بمسقط رأسي أرى الصور
نيلا ونخيلا ، جنة تراود النوارس وكل الطيور ،
تغريد بلا بل ، وأنامل تنفض عن قلبي غبار الحزن ،
تجذب الروح إليها شجرة عزيزة مدت غصونها
وظلالا فتخلق حولي الأنجم ، الغروب والمساء
الماطر ، البحر والنورس الفضي ، الشاي والكتاب
ويدي قرنفلة بلون الحب أردد لك الدعاء بكل
الفرح ، المجد والفخر ، « ابن لقمان » رمز الشموخ
أسر الملوك بوقفة المغوار ، « صخرة الملتقى » كم
صنعت عذب القوافي ، فتبهجين القلوب العطشى
للجمال ، رجالك من سلالة جند نجم الدين ، نخوة
وشهامة ، شعراء وعلماء ، منصور على كل باغ

لعين ، جرس الكنيسة حين يدق ، يرد الأذان بالودّ ، بالإيمان فينا
نوّارة البستان ودوحة الصفصاف إن أقفرت الدّنيا ، زادنا فيك
الأمانى يامعجزة السماء ، ورحت أصغى وأصغى .. ياإلهى أهكذا
يكون عزف الكمان ؟

وحين نتابع الأنواء وتمر الساعات في شجن لم يكن في الحساب ،
يامنصورة أنت ملء الخواطر بكفيك ظل الوفاء وإليك :

يامنصورتى تتحقق الأحلام ، بالحب يرعاه خالق الآنام ، طوبى
لشعبك حين يجمع شمله ، في ليلة تزهو بها الأيام ، في شهر رمضان
الذى ازدانت به أرجاء مصر بين السجود والقيام ، ترعى الأخوة
للمسيح وشعبه ، وتجلّ أحبارا لديه كرام ، الشعب يسعى بالمحبة
والهدى ، والشيخ والقسيس الذى لا يُضام ، شعب حباه الله حب
عقائد جاء بها الرسل الكرام وقاموا ، ولتوحيد موسى كنا أول أمة قد
صدّقه فآمن الناس وتساموا ، أما المسيح كنا شعب دعائه ، لم يثننا
عن نشرها الإرغام ، ولدعوة الإسلام كنا صفوة ترعاه علما يحتويه
غرام ، قد باركته خطى المسيح وكلمة ، أوصى بها المختار .

وطنى وصبايا وأحلامي : (م - ص - ر)

ثلاثة حروف اسمها ، رفيقة الموانئ البعيدة
والشموس ، يامن نقشتك على كفّ الليالى قبسا من
نور ، فصرت المعنى والجذور ، فى الأحداق كل
الرؤى والآتى الجميل ، كما الغيث والشوق والعطر
والبدر والدفء والعيد والأمنية ، تركيبة سحرية
منسوجة من خيوط الأحلام حينما يلفنى الظلام ،
دنيا السحاب فى البحور والقوافى لاغدر فيها ولا
ذئاب ، الضوء والظلال ، أسأل عنك الحروف
والورود واليمام ، أبحث عن الوداد ، أسأل عن سر
الحب ، لمن أبوح بالسر والحب صار ألف سيف ؟
لمن أمد الكفّ بعدما زاد إحساسى باللظى من هول
ماجرى للزورق ؟ كبّلتنا الأفاعى تضرب الكنانة

سيف الجحود ، من وأد الأمانى فصار الدجل والزيف عنوان وجوه
تبدلت فى الزمن الذليل ؟ كل مافى الكون أمطار ورعد ، فمازال
وجهك المرسوم فى الوجدان نسا فى العلا ، محملا بالندى حين
يداوى تاريخك العريق كل وجع ، حين تنشطر خيوط الفجر نتأمل
فيك الهرم كى أتحدى الصعب ، أسائل عنك الليالى ؟ أجزلت
العطاء فتألفنا معك ، أسقيتنا الشهد فأحبينا الصعب ، ورحنا نخاطب
النجم حين ضجّ الهوى فى الجوانح ، نرجوه ألا يذيع من الأسرار كل
دفين عن طائر البهاء ، يافجر الحياة وموطن الحسن ، بتنا نرقب العالم
من شرفتك ، نروم طلتك ، فلم نعد نشكو الضيق ، لانستغرق فى
الفكر والسأم ، حين نترجل بشوارحك ، حاراتك ، كل شبر فيك
نتشى بالدرر ، نمرح ، نعود لأطياف الذكريات فمسراك يا وطنى
أنسام وأنداء ، يا وطنى .. إن أجذب العمر ، إن تهت عن الدرب أهرع
إليك ، بسمه أنت فى الأحزان تؤنسنى ، أرنو إليك فى فرحى
وإخفاقى ، يازورق يسرى بروحى وأعماقى ، أهفو إليك فى صمتى
وإطراقى فإليك :

مصر العظيمة أهلها العظماء ، مهما تحالف ضدها الأعداء ، وإذا
كسا داء الفساد ربوعها ، يأتى من الشعب الأبى شفاء ، هم علموا
الدنيا الحضارة واهتدت بضيائهم ويعلمهم أرجاء ، فاستخبروا
التاريخ كيف عطاؤهم ، فالصخر عن أمجادهم حكا.

فالعلم والفكر النبيل تجمعا والدين والتشديد والحكماء ، بهم
استقرت للحضارة قصة يزهبها التاريخ فهي ضياء ، وبأرضهم
حلّ الخليل ويوسف ، وأتت لموسى الحكمة العصماء ، هم صدقوا
بدين الكليم وآمنوا ، رغم الطغاة فهم له شهداء ، وخُطأ المسيح عليه
باركت اسمه ، وسعت على جنبااته العذراء ، سالت لنصرته الدماء
ذكية وتسابقت في حبه الأحناء ، وأتت من العرب الكرام جماعة ،
أبناء هاجر أختنا المعطاء ، تدعو إلى الإسلام وهو شريعة ، قد أنزلتها
للوجود سماء ، فتسابق الشعب العريق مرحبا ، وحي العروبة كيف
شاء وشاءوا .

لحن الملائكة

لست إلا بقايا حطام ، بقايا بشر ، يامن تدثر
بعباءة الملائكة ، تزيّنت بتاج المرممر ، لتبتئنا بأسعد
خبر ، لاحقت الجنة ، من فجرّوا الأبناء ومزقوا
الوتر ، وأن هلاكهم في القاع والحفر ، قرأنا في عينيك
الصدق ، شكرنا الرب ، ستجعل من القتلّة درسا
وعبرا ، ياله من جنون !! مصريون يقتلون وهم
يودعون العام الجديد ، قبل أن يبدأ ، صدقنا أن غصّة
بين ضلوعك ، تؤرق مضجعك .

في ذات الشهر ولدت ثورة غضب ، يامن كنت
تجهل أن عين الله لاتنام ، ستكشف أسرار السجون ،
وما خلف الأشياء ، وأنت تتلذذ بالدمع والألم ،
تتراقص بالأحشاء ، أتعبنا الصمت ، هدّنا البكاء على

أبرياء تضرعوا وخشعوا أمام الإله أن يحقق الأمنى والفرح ، يامن جعلتنا نحيا بلا شمس ، فى ذات الشهر العظيم ، عزفت الملائكة لحنا أنقى وأطهر ، أما أنت فلن ينفض عنك غبار الحزن ، سيلفك العار باقى الأيام ، يامن أجدت الخداع ، وأتقنت أبجدية الكلام ، سيحيطك الجليد، ومنك لا أحد يقترب ، ستتجمد قدماك وعيناك إلا من صور الشهداء ، ويداك المخضبة بالدماء تصرخ ، تود لو ترجم نفسك بحجر ، لن تجد من يرتب خطواتك ، من يجمع دمك المبعثر وبقايا أجزائك ، تذكر أيها القاتل كل الجماجم ، فى الميادين، وكنيسة القديسين مازالت تشهد على ليلة غاب عنها نجم و قمر .

هل كنت حبيبا أم كنت أنت العدو؟!

الكذبة والمراءون الذين قال عنهم السيد المسيح (له المجد) : ماذا يضيرهم إذا مات الفقراء جوعا أو مرضا حرقا أو غرقا ؟ يلهثون بحثا عن الفتات في صناديق لصوص مصر، فواقعنا كله مر ، تناسوا أن عين الله لاتنام ، وأن الأمانة سوف ترد ، يوم يقفون عراة من الشرف والكرامة ، باتوا حديث الناس .

هذا أوان الحساب لمن قال إن وأد الفتن الطائفية من أولوياته، وبتنا نصدّقه جملة وتفصيلا ، ويذا الذئب ليستا بريئتين كنصل يتلظى بدم القليل تؤجج السعير ، وجه الصّبية البتول (مريم فكرى) التى كانت تحلم بالفجر، كسرب حمام يمتد كرايات حب وسلام ، لنتفض فزعا والدم يجرى بحورا، يغرق الدرج يوم



الميلاد ، يامن أغلقت الأبواب أمام الدروب التى جفت سواقيها، لم تسلم منك طيور النهار، لتحتل الغربان فجر دارنا الى أن أفقنا، لنجد أنك بعث فى ساعة وطننا بأكمله ، فسقطت الجدية والصرامة.

وجهك أفعى بثت سمها فى عيون الصغار، وعلت الصدمة وجه الكبار ، فمن أطلق يد الوحوش بلا قيود ، ليتكرر مشهد فى العالم لن يُمحى من الذاكرة ، هذا هو المصرى الغوغائى، ينهب ويحرق ويسرق آثاره ، من أطلق الرصاص الحى على صدور كل الأوفياء ؟ من أضاع أمننا حتى ضاقت بنا الأرض بما رحبت ، وماعادت تحمينا السماء ، فيامن خدعنا ونحن خلف سجن القهر، وأمام طواير الذل والمهانة ، تبخرت آمالنا ، سياط الزمن مزقت أوصالنا حزنا ، على ماآلت اليه أحوالنا .

أيها الخائن سوف تمضى أيامنا، نروى حماقاتك من تضليل وغدر ، بعدما تردّ انتفاضة الزهور خنجرا لصدر عدو لم يكن أبدا حبيبا ولا عادلا يقول الله «عز وجل» فى سورة البقرة (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) .

منزل رقم (٥)

لا أدري لماذا يشكو معظم أبناء جيلي من مرحلة الطفولة ، وخاصة قسوة الأب أثناء التعامل مع صغاره ، أو تعنت الأم ، يشكون الظروف المحيطة للآمال وفشل الطموحات حتى تبدلت حياتهم ، فكلما أعادوا للذاكرة عمر البراءة ، يكسو الحزن ملامحهم ، ويتمنون لو يقفزوا على هذه المحطة وكأنها لم تكن ، أما أنا فأشد ماقد يعيدني الى الطفولة هي تلك السعادة والفرحة الغامرة والتي تلاشت في الكبر ، وكلما شعرت بالوحدة والغربة أعود بالزمن عشرات السنين فأستشعر دفء البيت وحنان المدرسين ولطف الجيران وبساطة الحياة ، الأمان في الشارع ، واللقمة الهنية والرضا والحمد والشكر ،

المحبة بين الناس وكلمات أشكر الله أن صداها لا يزال يتردد
بسمعى ، لتخفف من وطأة مايجرى.

(حصل خير ، صلّوا على النبى ، ليس لى بركة إلا انت ، حقك
على رأسى ، نحن إخوة ، النبى وصّى على سابع جار ، لا تغضب
ياأخى أطفال مع بعض الآن يتصافوا ، إحنا ولاد النهارده ، صافيه
لبن ، حليب ياقدسة) .

الله الله ماأجل تلك الأيام عندما كان يمشى الكبير يقف الصغار
احتراما ، وإذا تدخل الكبير فالكل يلتزم توقيرا ، النفوس البيضاء ،
القلوب السمحاء عنوان أجل الايام ، وكان أجمل يوم كما يقول
موسيقار الأجيال « عبد الوهاب » بلحنه الشجى ، هذا اليوم الذى
ذهبت فيه الى الشهر العقارى بالمنصورة كى أسجل توكيلا ، فإذا بى
أمام سيدة مدّت يدها لالتقاط الأوراق وحينذاك دارت بى الأرض
وتساءلت حلم هذا أم علم ؟ حاولت أن أستجمع أنفاسى وسألتها :

سيادتك مدام نعيمة ؟ كان الأمر عاديا بالنسبة لموظفة بالشهر
العقارى أن يعرف العملاء أسماء الموظفين ، لكننى حينما أردفت
(مش حضرتك أخت شادية) ؟ انتفضت من فورها وارتعدت ، ثم
لاحقتنى بالأسئلة من أنت ومن أين تعرفين شادية ؟ حاولت أن
أهدىء من روعها ، قلت : مدام نعيمة أنا مريم .. كنت مع شادية

بنفس (التختة) فى مدرسة الرشاد عند الأبله أسماء هل نسيته ؟
لكنها وكما بدا لى لم تقتنع أبدا ، بدليل أنها لم تجب ، لتكذب على كومة
الأوراق التى تكدست أمامها ، وتركتنى لدورى دون أن تنطق
بكلمة ، وشعرت بالإحباط فشادية بالنسبة لى خيط حرير يوصلنى
للماضى البديع يعيدنى للسبورة والطباشير ، للمريلة الصفراء
والضفيرة والشرائط البيضاء ، كانت نعيمة متحفظة الى الحد الذى
جعل وجهها عابسا طيلة الوقت فأثرت أن أتوقف عن الكلام ، لكنى
لم أياس أبدا ، فى صباح اليوم التالى كان موعد استلام التوكيل العام
والأمل يحدونى أن تتكرم نعيمة وتجود بعنوان شادية التى علمت
من الأبله اسماء فى إحدى زياراتى لها ، أن شادية عاشت بمكة بعد
الزواج من رجل فاضل ، وما إن انتهينا من المرحلة الابتدائية حتى
تفرقنا ، ولم أعد أرها ولو على سبيل الصدفة ، لكنها دوما بالذاكرة ،
كانت تتفوق على بالحساب ، وأنا أتفوق عليها باللغة العربية التى
عشقته منذ نعومة أظفارى والفضل كل الفضل يرجع للأبله أسماء ،
فحصه التعبير كانت أروع الأوقات خاصة عندما تطلب منى الأبله
أسماء أن أقرأ على زملائى ماكتبته فى موضوع التعبير ودار الحوار :

- صباح الخير مدام نعيمة .

- نعم خير إن شاء الله .

- ارجو كى أن تتكرمي على بهاتف شادية لأننى أود التحدث اليها، ولا تقلقى ودعيني أذكرك أيضا ، ألم تكوني معنا بذات المدرسة لكنك تكبرين عنا بعام واحد ؟ ذاكرتى مازالت قوية وملامحك لم تتبدل أبدا .

- شادية لا تحمل هاتفا .

- ماذا عن الرقم الأرضى .

- لا أتذكره .

- من المؤكد لها عنوان .

- لا أستطيع الا باستئذان صاحبة الشأن .

- وما الفائدة أود زيارتها لتكون مفاجأة .

- وأمام محاولاتي المستميتة لإقناعها وافقت .

- شادية تسكن خلف مجمع المحاكم مباشرة منزل رقم ٥ .

وما إن عرفت العنوان حتى وجدتني وقد طلعت السماء فطرت على المكان ، «منزل رقم ٥» ، بيت من ثلاثة أدوار يبدو جميلا ، وقبل أن أقترب من الباب الرئيسى إذا برجل خمسينى يطل من إحدى شرفاته ، سألته على الفور : هذا بيت شادية ؟ ليرد بابتسامة قائلا تفضلى ، وبعد أقل

من دقيقة وجدتنى أمام ثلاثة شبان يستقبلوننى بحفاوة بالغة .

طالعت الشباب ولم أصدق عيني ، شادية أم الصغيرتين أصبحت
أما لهؤلاء ؟ العمر مرّ كالثوانى ، فى غرفة الصالون اتخذت مكانى
بمواجهة الباب ، تسارعت دقات قلبى ترى كيف سيكون اللقاء بعد
فراق يقترب من الخمسين عاما ؟ ترى ماذا سيكون رد فعلك
ياشادية ؟ ثوانى لتدخل على عجل والريّة تغطى كامل جسدها ، وفى
لمح البصر وصوت تخنقه العبرات :

مريم مريم .. أكاد لا أصدق ، مستحيل ... ياربى .. وزوجها
وأولادها يطالعونا فى ذهول ، كان عناقا حارا ، ودموعا ساخنة
تصرخ ضياع الصديق ، والحب بلا رياء ، زمن فات نعيش على
أنقاضه ، نجتر حلوه نستعين به فى الزمن الكئيب ، قالت لزوجها :
ياصلاح .. مريم التى حدثتك عنها كثيرا عندما أتذكر أبله أسماء ،
وجهها لم تتبدل ملامحه ، لحظات كما الأفلام ، استعدنا كل شىء
من الذاكرة كان قد مرّ علينا ، تشاق إلى الماضى مثلى ، جلسنا طويلا
تسأل كل واحدة عن أحوال الأخرى ، وحين استأذنت للانصراف
أصرّت أن أتناول معهم العشاء ، قال الحاج صلاح :

(علشان يبقى عيش وملح) ، لترد شادية (العيش والملح كان
فى العسيلة ودوم أم عبده ، كان فى النوجة والتوفى ، فى الغديوة عندما

نضع السندويشات في الفسحة تحت النخلة ونأكل مع بعض).

وأكلنا ولم نعد نفترق ، تزاورنا وتعرف الأزواج على بعضهما البعض ، ولحسن الحظ توافق الأزواج في الفكر والحوار ، وتعارف الأبناء والبنات ، حضرت عقد قران هشام فقد تزوج هيثم وهادي ، ووقفت الى جوارها وأنا أشعر بأن العريس هو إبنى ، حينما أوصيت العروس أن تبقى على حب هيثم طول العمر من أجل « شادية محمد حافظ » التي ما إن أدت رسالتها حتى خطف الموت الحاج «صلاح» بعد عودته من صلاة الفجر ، وشادية تعد لهما فنجاني الشاي ، بكيانه جميعا ، كم كان ودودا ، كريما ، وكثيرا ماروت له شادية عن طفولتنا السعيدة برعاية الأبله أسماء عبد الفتاح ، فأحبني من أجلها ، وأدهشه أنني بحثت عنها وكيف كان جمال رد فعلها ، تقابلنا بعدما صرنا جدتين ، وكلماتنا نعيد شريط الذكريات من أوله ، وعندما أهنتها بالعيدين ورأس السنة الهجرية أقول لها: مازلنا في أول السطر ، وأصبحنا نعوض سنوات الحب النقي بأثر رجعي ، واقتربنا أن نستغل أجازة أعياد أكتوبر المجيدة بالكثافة المرورية في الأجازات لن تعوق خطواتنا ونحن نعرّج على ماتبقى من المدرسة ، وإن كان سورا متهالكا ونخلة وحيدة لاتملا الفراغ ؟ يكفيننا أن نستشق عبير أبله اسماء ؟ وأبله سنية وأبله إخلاص ؟ تأبطت ذراعى وما إن وصلنا حتى سالت الدمعات .

هذه مصر

من قلعة التاريخ والحضارة ، من بلد أنطقت
الحجارة ، من بلد الثورة والشوار والفنون والعلوم
والعمارة ، من بلد على ضفاف نيلها تم اختراع الناي
والقيثارة ، وكان أول الحروف حرفها وأجل الزهور
زهرها ، وأغرق التيجان تاجها ، وأعذب الأنهار
والثمار والنضارة .

ورغم كل معاشته في تاريخها الطويل من
حوادث النضال والإثارة ، ورغم معاناته من نهب
وطغيان على مدار عمرها العريق ، يظل قلبها الفتى
يدفع الدماء في العروق ، تظل تعطى خيرها وفكرها
وعلمها للخصم والصديق ، تظل حتى في عصور
الجهل والظلام في تاريخها منارة على الطريق ، تعيش



في وجدانها أصالة الفراعنة وحكمة الإغريق والبطالمة ، وروعة الإيمان بالرسول ، فأول الموحدين شعبها ، ودينها القديم يقرر الثواب والعقاب ، والحساب والخلود ، وجاءها موسى مبشرا بدعوة التوحيد ، فألقى السحرة ساجدين مؤمنين سابقين ، وبارك المسيح أرضها بخطوه المجيد ، وخصّها القرآن بالذكر ونعمة الصمود وصية من أحمد بأهلها وحصنها الفريد .

وأشرقت بأرضها فصاحة البيان والقصيد « شوقي » شدا إعجازه الشعريّ في ربوعها ، « محفوظ » صاغ سحره من سحرها ، « طه وعباس » أذاعا فكرها ونبغ الآلاف من أبنائها في الطب في الفيزياء في الفنون في العلوم ، في صناعة الوجود ، في صياغة التاريخ ، في الصدق والأخلاق في صيانة العهود .

يا أصدقائي تلك لمحة من مصرنا العظيمة مصر التي لاتقبل الخنوع والهزيمة ، مصر التي صانت عروبتهها ولم تخضع لغاصب ، مصر التي ضحت وأعطت للعروبة دعمها في كل جانب ، مصر التي سالت دماء شبابها من أجل أحلام العرب ، أهديها حبا تؤصله الحضارة ، مصر التي همت محبتنا بقلب من ذهب .

ربنا موجود

بقلم الكاتب الصحفي الأستاذ «حمدي رزق»

تلقيت رسالة من الكاتبة «مريم توفيق»، عضو اتحاد الكتاب، معلقة بكلمات طيبات على ما جاد به القلم حباً لأخوتنا في الوطن، وتقديراً لكنيستنا الوطنية، واعتباراً لمكانة بابا المصريين في نفوس المسلمين.

أعرف مريم كمصرية صميمة فقط من رسائلها الودودة، وأنتظر بشغف كتابها الجديد تحت الطبع «عشقٌ مختلفٌ جداً» ورسالتها الطيبة تستحق هذه المساحة تقديراً.

تقول مريم: «وبما أنني من أقباط مصر، فاسمح لي أن أبوح ببعض الأشياء التي عايشتها بالفعل ومازلت كلما التقيت بالأصدقاء.



لم يكن « البابا شنودة » للأقباط بطريرك الكرازة المرقسية فحسب، بل كان الملاذ الآمن لكل من واجهته مشكلة ولو كانت على المستوى الخاص.

لعدة عقود اعتاد الأقباط على (السير جنب الحيط) والاحتماء بأسوار الكاتدرائية إذا تعرضوا لظلم أو اضطهاد، يرتأون الحل في كلمات التعزية من « البابا شنودة » الذي يدعوهم للصلاة والشكوى لله الذي بيده رفع المظالم، وكانت له كلمته الشهيرة (ربنا موجود).

البابا شنودة كان مفوهاً قادراً على الإقناع، خفيف الظل، لكن لا أحد ينكر أن الرهبة منه في ذات الوقت مكمناها عيناه اللتان ترسلان بريقاً يخترق الروح، هذا البريق جعل الأقباط ينظرون إليه باعتباره قديساً معاصراً يسير بيننا.

وجاءت الثورات التي بدلت أحوال الأقباط ، فتمردوا على الأسوار الشاهقة، وراحوا يثورون في التحرير ليس من أجل العيش فقط، بل من أجل الحرية، والتمرد على مشاعر الإحباط التي جعلتهم خانعين مقهورين غير قادرين حتى على البوح إلا فيما بينهم.

لكن مع الأسف، والأقباط جزء من المجتمع، الكل فهم الثورات خطأ، فباتوا يتكلمون دون توقيف، دون سقف بل دون مراعاة لعواقب الأمور، التمرد على كل شيء هو نوع من إثبات الذات، وربما

لتعويض أزمنة الكبت والخرس.

ومع الأسف «البابا توا ضروس» دائماً ما يضعه الأقباط في مقارنة مع «البابا شنودة» رغم أنه لا يقل وطنية عنه، فأنا أؤمن له التواصل مع القيادة السياسية بما فيه مصلحة الوطن على كل الأصعدة، يحث الأقباط على المشاركة الفاعلة من أجل دور أكبر لشركاء الوطن.

«البابا» يعلم أنه لولا «ثورة الثلاثين من يونيو» لانهارت الكاتدرائية وباتت أنقاضاً، ولن يصبح أمام الأقباط إلا أحد هذه الخيارات: إما الهجرة، أو دفع الجزية أو القتل.

«البابا توا ضروس» حين يطلب الوقوف إلى جوار الرئيس الوطني المخلص بحسن استقباله دولياً ودعّمه في هذه المرحلة الحرجة، إنما هو دعم لمصر الكنانة وشعبها الأبي، فرفقاً بقداسة البابا ولننحّ المقارنة الظالمة جانباً، الكل يؤدي دوره إرضاء الله رب الكل أولاً، ثم الوطن، حفظ الله أمتنا من كل مكروه.

جريدة المصري اليوم

السبت ١٧/٩/٢٠١٦ م

الشاعرة فى سطور

- مريم توفيق.
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو جمعية الأدباء.
- عضو نادى القصة.
- عضو المنتدى الثقافى المصرى.
- عضو جمعية الكاتبات.
- عضو اتيليه القاهرة.
- عضو رابطة التربية الحديثة.

صدار لها :

- عزف على أوتار العشق
- أزهار الخريف
- شعر فصيح
- شعر فصيح

- قوس قزح حوارات صحفية
- حلم بالخضرة شعر عامية
- الثورة والزمن المسروق نصوص أدبية
- مصر الى أين نصوص أدبية
- وبكت الأشجار مجموعة قصصية
- إتولدنا شعر عامية
- قنديل وقربان نصوص أدبية
- طريق السماء نصوص أدبية
- بين الكلمات نصوص أدبية

الفهرس

الإهداء	٣
هذا الكتاب	٥
مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور: منصور مندور	٧
تأملات	١١
إلى أم النور .. سيدتنا مريم العذراء (عليها السلام)	١٥
السيدة زينب (رضوان الله عليها) .. وروحانيات متجددة ..	١٨
إلى العالم الجليل .. صاحب المقام الرفيع .. إلى الطيب الإنسان	٢٠
الحمصية وطعم الأيام اللذيذة	٢٢
دعوة للحب والإيمان في حلوان ..	٢٦
لقاء طيب جدًا جدًا	٢٩
البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني .. بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة	
المرقسية	٣٥
جلسة إنسانية جمعتنا في حب الرسول	٣٨
عندما بكى (البحر الأحمر) ..	٤٦
قنديل يشع سلاما	٥٢
الأبلة أسماء	٥٧
أبى توفيق (ما أروعك)	٦٤
سوف أحيأ يا أمى .. سوف أحيأ ..	٧٠
ماذا أفعل في رحاب ليلة القدر؟	٧٢
المفكر الإسلامى	٧٥
الفارس في الوجدان	٨٢
الممرض رمضان حارس الحصانات الأمين	٨٥

٩٠	زينب والحب الأسطوري
٩٧	إنسان جميل اسمه (مؤمن)
١٠٢	أنطونيوس وفهيم
١٠٤	الشهر الفضيل
١١٠	حوار بين قلبيين
١١٤	حفيدى الغالى ..
١١٦	تهنئة
١١٧	الحاج جرجس عبد المسيح
١١٩	هاتوا المأذون
١٢٤	ثلاث هدايا من أختي (منال)
١٢٨	يانور عيني ..
١٣١	الأم تريزا
١٣٣	مجلي يعقوب الأسطورة
١٣٥	تهنئة خاصة جدا
١٣٧	منصورة يامنصورة ..
١٣٩	وطنى وصبايا وأحلامى: (م-ص-ر)
١٤٢	لحن الملائكة
١٤٤	هل كنت حبيباً أم كنت أنت العدو ١٩
١٤٦	منزل رقم (٥)
١٥٢	هذه مصر
١٥٤	ربنا موجود: بقلم الكاتب الصحفى الأستاذ «حمدي رزق»
١٥٧	الشاعرة فى سطور

